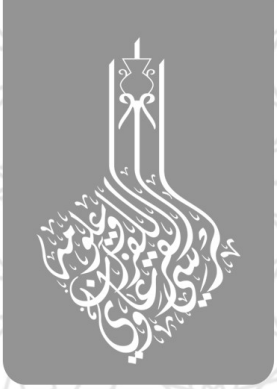

السجل العلمي لمؤتمر

الدراسات الحديثة في تفسير النص القرآني

رؤية تقويمية

الجزء الثاني

المؤتمر برعاية

القرعاوي للعقارات

الراعي الرسمي لكرسي القرعاوي للقرآن وعلومه

التفسير العلمي للقرآن
في برنامج «لا يوجد تعارض»

(There Is No Clash)

دراسة تحليلية نقدية

د . مرهف عبد الجبار سقا

الأستاذ المشارك في التفسير وعلوم القرآن

بقسم الدراسات الإسلامية ،

كلية التربية بالزلفي، جامعة المجمعة

المقدمة

الحمد لله رب العالمين وأفضل الصلاة وأتم التسليم على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين وبعد:

فما زالت الأمة تعيش في آثار الجدلية المادية التي سيطرت على منهج التفكير النقدي لقضايا العلوم بأنواعها، ولا زالت هذه الجدلية المادية تنازع سلطة الوحي وتحاول بسط حكمها النقدي في الساحة الثقافية، من خلال افتعال معركة تصادمية بين العلم والدين، بيد إن هشاشة الأصل الذي بنيت عليه جعلتها تسقط كلما قامت، ثم تتكرر المحاولات بدعم مؤسسات قامت على التفسير المادي لقضايا العلوم على اختلاف مناهجها، ويقابل ذلك ردود علمية من مختصين أو من مدارس علمية لا توافق على طرح التفسير المادي لقضايا الكون، ولا يسلم لهم تحليلاتهم، وما زال هذا الصراع من مئة عام تقريباً حتى الآن يحتدم في الأوساط الثقافية بزعم التعارض بين العلم والدين.

وكان من بين حلقات التنازع بين الاتجاهين ظهور برنامج(*Therisnoclach*) أي: لا تعارض، الذي تقدمه المذيعة البريطانية كلير فوريستير، ونشرت حلقاتها مترجمة على قناة تحمل نفس اسم البرنامج(*Therisnoclach*) على (*youtube*)، تطرح في كل حلقة قضية كونية تشرحها وفق تقارير ودراسات حديثة، ثم تسقط ما شرحته حول القضية الكونية على آيات من القرآن الكريم.

ونظراً لاعتماد البرنامج على القرآن الكريم في طرح القضايا العلمية؛ ولكثرة المتابعين لهذا البرنامج، كان لا بد من دراسة تحليلية نقدية متأنية له؛ تبين مصداقية الطرح في ضوء أصول التفسير وقواعده، مع بيان أثر البرنامج على الاتجاه التفسيري الحديث.

ولا بد من تعريف هذا المصطلح من حيث تعلقه بعلوم القرآن، فأريد بالتفسير العلمي: «بيان معاني القرآن الكريم باستنباط مختلف العلوم الكونية والنفسية والعقلية أو بتوظيف العلوم التطبيقية والبحثية والمعارف التجريبية الصحيحة بقدر الطاقة البشرية وفق القواعد الشرعية المقررة»[1].

مشكلة البحث:

يمكن تلخيص مشكلة البحث في طرح الأسئلة الآتية:

- ما القيمة الفكرية والعلمية لهذا البرنامج؟.
- هل كانت معالجة البرنامج للقضايا الكونية في القرآن الكريم منسجمة مع أصول التفسير وعلوم القرآن؟
- ما تأثير البرنامج على الاتجاه التفسيري والفكري؟

أهداف البحث:

تتلخص الأهداف بالإجابة على مشكلات البحث وهي:

- بيان القيمة الفكرية والعلمية للبرنامج.
- قراءة نقدية لأسلوب الاستدلال من القرآن الكريم على القضايا المطروحة وفق معايير التفسير والاستنباط.
- بيان أثر البرنامج على الاتجاه التفسيري والفكري.

حدود البحث:

في ضوء ما سبق يتبين أن البحث سيقوم على دراسة نقدية لطريقة التفسير العلمي للقرآن في البرنامج، في ضوء أصول التفسير وقواعده، والتمثيل لذلك ببعض النماذج التطبيقية المختارة من البرنامج نفسه، دون التطرق للتشعبات العلمية التخصصية للقضايا المطروحة إلا بحدود ما يقتضيه البحث.

---

(١) انظر: التفسير والإعجاز العلمي للقرآن ضوابط وتطبيقات ١/ ٦١.

الدراسات السابقة:

أخذ البرنامج في أثناء ظهوره جدلا على نطاق واسع، فظهرت تسجيلات مصورة ومقالات صحفية تتكلم عنه ما بين محذر ومرحب، ولكني لم أجد ولا أعلم بحثا أكاديمياً قام بدراسته دراسة علمية نقدية، ولعل هذه أول دراسة له والله أعلم..

منهج البحث واجراءاته:

يعتبر المنهج الوصفي والتحليلي: المنهج الغالب على البحث.

وأما إجراءات البحث:

١- استقراء الحلقات المعروضة والمترجمة من موقع البرنامج الرسمي على (*youtube*).

٢- اختيار نماذج تطبيقية لتكون محلاً للدراسة.

٣- توثيق النماذج بذكر اسم الحلقة وتاريخها كما هو في موقع القناة ورابط الحلقة.

٤- تحليل ونقد النماذج التطبيقية.

٥- عزو الآيات القرآنية وتخريج الأحاديث النبوية حسب المنهج العلمي المتبع في مثل هذه الأبحاث

٦- ترجمة الأعلام الذين استند البرنامج إلى نظرياتهم، وبعض الأعلام الذين يقتضي البحث التعريف معرفة تراجمهم لتوضيح الفكرة، وللتعريف بالمدارس التي ينتمون إليها، أما غيرهم فلا أترجم له.

٧- إيراد ببيلوجرافيا المراجع في فهرس المصادر آخر البحث.

خطة البحث: ستكون خطة البحث كالآتي:

المقدمة: وفيها أهمية البحث وأسباب اختياره، ومشكلته وأهدافه وحدوده والدراسات السابقة وإجراءاته، ثم الخطة، وهي:

تمهيد: في التعريف ببرنامج(*There is no clach*).

المبحث الأول: معايير أساسية للتفسير العلمي والاستنباط من النص القرآني.

المبحث الثاني: القراءة العلمية النقدية للبرنامج.

المبحث الثالث: أثر البرنامج على الاتجاه التفسيري والفكري.

الخاتمة: وفيها النتائج والتوصيات

* * *

التمهيد

التعريف ببرنامج لا تعارض

يعتبر برنامج *There Is No Clash* أحد أهم مشروعات مؤسسة تحمل نفس الاسم: *There Is No Clash*، ولكن ما يزال الغموض والجهالة تكتنف فريق هذه المؤسسة حالا وعيناً، إذ لا يعرف القائمون عليها يقينا، ولا لأي جهة تتبع، ولا يعرف أسماء محرري تقاريرها، ولا تعرف المراجع التخصصية التي تدقق تقارير حلقاتها، وإنما الذي يعرف هو أن فريق الإنتاج للبرنامج من مصر كما ذكرت المذيعة البريطانية المقدمة للبرنامج «*ClareForestier*» في سيرتها الذاتية[١]، وما ذكره لي عدد من المتابعين أن القائمين على المؤسسة من المسلمين، وذكر بعضهم أن القائمين على البرنامج ثلاثة اشخاص وهم[٢]:

ـ وليد بدور مواليد ١٩٧٥م، وهو مهندس كهربائي مصري، تعلم الإخراج وصناعة الأفلام في أمريكا[٣].

ـ الدكتور طارق مصطفي مواليد ١٩٣٤م، وهو أستاذ دكتور باكستاني، متخصص بالفيزياء النووية وفيزياء الفضاء، وهو نشط في الكتابة حول العلاقة بين العلم والدين[٤].

---

(١) انظر موقع كليرفورستر وسيرتها الذاتية على الرابط: *https://www.clareforestier.com/cv*

(٢) انظر: موقع الدفاع عن الإسلام على الفيسبوك:
https://www.facebook.com/222867924393927/posts/d41d8cd9/3281166611897361/
وموقع ملتقى أهل التفسير «*https://vb.tafsir.net*» مشاركة العضو (سامر غازي) على موضوع « سلسلة لا تعارض وحقيقة الإعجاز القرآني المزعوم»، وأحسبه نقله عن الموقع السابق.

(٣) انظرسيرته الذاتية: *https://www.imdb.com/name/nm3496938/bio?ref_=nm_ov_bio_sm*

(٤) انظر سيرته: *https://en.wikipedia.org/wiki/Tariq_Mustafa*،

- سمية بشير وتم التعريف بها على أنها مؤلفة كتاب عن معاناة المراهقين في الغرب، إلا أنني لم أجد لها تعريفا ولم أجد كتابها ذلك.

بيد إن هذه الأسماء تحتاج إلى تأكيد من مصادر رسمية وذات مصداقية أكثر، ومن يشاهد البرنامج يوقن أن فريق العمل أكثر من ذلك نظرا لتنوع المعلومات المعروضة، وتعدد المواقع التي ينشر البرنامج حلقاته فيها على مواقع التواصل الاجتماعي(١).

قامت هذه المؤسسة منذ عام ٢٠١٧ بالتعاقد بداية مع عمرو خالد الداعية المعروف فقدم حلقات باللغة العربية تحت عنوان: «بالحرف الواحد» وبثت على اليتيوب(٢)، ويبدو أن حلقات عمرو خالد لم تلق رواجًا كما هو المتوقع؛ فتعاقدت المؤسسة مع المذيعة البريطانية كلير فورستير «*Clare Forestier*»، وبدأت في بث حلقاتها باللغة الإنكليزية تحت عنوان: «*There Is No Clash*»، أي: «لا تعارض»؛ فلقي نجاحًا ورواجًا وانتشارا أكثر، وهذا تعرفه من خلال نسبة المشاهدات والمشاركات له(٣)، ولعل سبب ذلك يعود لكون المذيعة غير مسلمة وتقدم خلاف ما تعتقده؛ مما يلفت النظر؛ إضافة لأسلوبها المحترف في التقديم.

وأما رسالة المؤسسة من خلال هذا البرنامج؛ فيمكننا معرفتها من خلال ما ذكرته المذيعة البريطانية في سيرتها أنه يهدف إلى إظهار العلاقة بين العلم بفروعه المتعددة مع القرآن الكريم، وأنه لا تعارض أو صدام بين القرآن «الدين»، والعلم، ونجد هذه الرسالة مكتوبة في بداية الكثير من حلقات البرنامج «هل القرآن كتاب سماوي أم كتاب علمي، القرآن هو الاثنان معًا»-، ولذلك يذكر البرنامج في

---

(١) ومن خلال موقعهم على الفيس بوك: / *https://www.facebook.com/ThereIsNoClash* يظهر أن إدارة الموقع من عدة دول «بريطانيا ورومانيا وإسبانيا»

(٢) انظر الرابط: *https://www.youtube.com/playlist?list=PLhbs8A5De9zSTPO0xHJQeDYfBuwYv_sOR*

(٣) ثم أنشأ البرنامج موقعا له على *https://www.patreon.com/ThereIsNoClash* لتلقي الدعم.

حلقاتـه الأولـى أن القـرآن تحدى العلماء فيمـا يقولونه، وفتح لهـم باب البحث والقراءة والتصديق والإنكار، وقد أشـار البرنامج إلى هدف آخر يرمي إليه وهو: «أنه يريد مشـاركة الأبحاث العلمية التي تسـاعد على التفكير والحوار الصحي»، كما ذكر في أثناء ردوده على منتقديه.

وقـد ظـن بعض المتابعيـن للبرنامـج أن مقدمـة البرنامج باللغـة الإنكليزية المذيعـة البريطانية كلير هي صاحبة الفكـرة، فقاموا بكيل التهم للبرنامج وجعلوا من أهم انتقاداتهم أن صاحبة البرنامج مسـيحية لم تسـلم مع حماسها في التقديم، بـل شـطح بعضهـم في التحليـل ليقول بأن ثمـة علاقة بيـن مقدمـة البرنامج -أو مسـؤولي البرنامج- مع «عدنان أوكتـار» التركي الذي قبض عليه مؤخراً في تركيا بتهم أخلاقية[١]، وكل هذه التحليلات ليس لها واقع، فالمذيعة مجرد متعاقدة مع المؤسسـة الراعية والمنتجة للبرنامج، ولا تمثل هذه المؤسسة أبداً، ولو تعاقدت مع أي ملة أخرى ستقدم ما يقدم لها من تقارير؛ لأن هذه مهنتها ومصدر رزقها.

وقـد لاقى البرنامـج في الحقيقة انتقادات عديدة من مشـككين في خلفياته[٢]، وآخرون يشـكك في أهدافه الماديـة إذ اعتبروه برنامجـاً ربحيـاً وليس علمياً[٣]،

---

(١) انظر مقال: «كلير فورسـتير» النسـخة الإنجليزية من عمرو خالد، هدى المصري، نشر في روز اليوسف الأسبوعية يوم ٢٩ - ١٢ - ٢٠١٨ على الرابط: *https://www.masress.com/rosaweekly/1024824*

وانظر أيضـاً هذه الحلقة على اليتيوب بعنوان أسطورة الإعجاز العلمي:

https://www.youtube.com/watch?v=g4GSi4-Lv30

(٢) انظر على سبيل المثال: على اليتيوب:

https://www.youtube.com/watch?v=1F8OuVORJU8

https://www.youtube.com/watch?v=GadR9mi-vbc

https://www.youtube.com/watch?v=up-r5Uf3NXw

(٣) انظر:

https://nourreddin.net/2018/06/27/%D9%85%D9%8E%D8%B9%D8%AC%D8%A8%D8%A9-%D8%A7%D9%84%D8%B9%D8%B1%D8%A8-%D9%85%D8%B6%D8%AD%D9%83%D8%A9-%D8%A7%D9%84%D8%BA%D8%B1%D8%A8

وبعض المختصين انتقده من جانب معلوماتهم العلمية الكونية التخصصية[١].

ولكن التعاقد مع مذيعة غير مسلمة لتقدم برنامج يتعلق بقضية حساسة من علوم القرآن؛ وتظهر بشكل لا يتناسب مع الشريعة، من أهم المآخذ على البرنامج، خاصة أن عناوين الحلقات توحي بأن البرنامج من صنعها وأفكارها، فما هي الرسالة التي يريد إيصالها منتجو البرنامج؛ أم إنه لشد الانتباه؟!.

وقد قام البرنامج بالرد على بعض منتقديه وخاصة منهم الدكتور الفيزيائي باسل الطائي؛ إلا أن ردهم العلمي كان سريعاً ومختصراً لا يرتقي إلى مستوى النقد العلمي الذي طرحه الدكتور باسل، فقد أسهبوا في الاستجرار العاطفي ولفت نظر المتلقي إلى «الإرهاب ومحاربته» بدلا من الجواب على النقد، كأنهم يريدون من الناس نقد الإرهاب وترك نقدهم، كما أنهم – في ردهم– ناقضوا أنفسهم عندما قالوا: إنهم يردّون على الاعتراضات التي تستند إلى البحث العلمي والحقائق العلمية فقط[٢]، بينما لو نظرنا إلى حلقاتهم نجدهم يعتمدون على فرضيات ونظريات لم تصل إلى الحقيقة وبعضها تصورات ذهنية فقط، كما سيأتي بإذن الله في المبحث الثاني.

وأما المادحون للبرنامج فهم إما صحفيون أو مثقفون غير مختصين دهشوا بطريقة البرنامج وعرضه وربطه بعضهم بالخطاب الديني[٣].

---

(١) انظر رد الدكتور الفيزيائي باسل الطائي على البرنامج حول نظرية النسبية وآية الظل في سورة الفرقان:
https://www.youtube.com/watch?v=bTYrLqzKIaI

ورد آخر له على تفسيرهم لسورة النور على الرابط:
https://www.youtube.com/watch?v=JZ7RRLCpQyc

(٢) انظر ردهم على الرابط: *https://www.youtube.com/watch?v=vnIQe0Jt2LU*

(٣) انظر نموذجاً لذلك: *https://www.youtube.com/watch?v=J-2Xo1uNyZo*

ومقال على موقع الإمارات اليوم بعنوان: كلير فوستر والخطاب الديني د. علاء جراد
https://www.emaratalyoum.com/opinion/2018-06-18-1.1109386

المبحث الأول
معايير أساسية للتفسير العلمي والاستنباط من النص القرآني

هـذا المبحث مدخلا أساسـيـًا في التحليل النقدي للبرنامـج، يتضمن أصول الاسـتنباط والبيان للقرآن الكريم، وهذه الأصول تعتبر ضوابط معيارية للكتابة في التفسـير العلمي ومحاكمته، جعلت في كل معيار محكِّمات تضبط المرجعية إليه وقد يعبر عنها العض بـ «محكات، أو مؤشرات».

١- المعيار المعرفي:

ويتلخص توصيف هذا المعيار بتوافر الملكة العلمية الاختصاصية، والمعبر عنهـا بالأهلية العلمية، والأصل في هذا المعيار قوله تعالى: ﴿وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌۚ إِنَّ ٱلسَّمْعَ وَٱلْبَصَرَ وَٱلْفُؤَادَ كُلُّ أُوْلَٰٓئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْـُٔولًا﴾ [الإسـراء:٣٦]، فـلا يجوز لمن يتعرض لكتاب الله تعالى أن يخوض بحره دون أن يتعلم السباحة فيه، ويمكننا تقسيم هذه الأهلية إلى قسمين أساسيين:

أحدهما: الأهلية الشـرعية: وهي توفر الشـروط العلمية للمفسـر، وامتلاكه للأدوات التي يحتاج إليها؛ لأن علم التفسـير من أعظم العلوم المؤثرة في الحياة، ومن أجلّ العلوم على الإطلاق لتعلقها بكلام الله تعالى، فينبغي «أن يكون المفسر موهوبـًا ذا قدرات عقلية ممتازة، قوي الاسـتدلال، حسـن الاستنباط، قادراً على الترجيح إن تعارضت الأدلة، عارفـًا اختلاف الأقوال على حقيقته»[(١)].

القسـم الثاني: الأهلية الكونية: وهي توفر القـدرة المعرفية والبحث في قضايا التخصص الذي يسـتدل عليه أو يستشـهد به في تفسير القرآن، والقدرة على تمييز الفرضية والنظرية والحقيقة العلمية.

---

(١) لمحات في علوم القرآن واتجاهات التفسير صـ ١٩٤.

ولما كان استجماع ذلك صعب المنال في زماننا الذي تجزأت فيه العلوم؛ **فإنا نقول بأن التفسير العلمي وتقرير الإعجاز العلمي في القرآن الكريم ليس عملا فرديًا وإنما هو عمل جماعي**، فإذا كان الباحث لديه الأهلية الشرعية؛ فعليه الرجوع إلى أهل الاختصاص في القضية الكونية التي يبحث في علومها، كما يجب أيضًا على المختص في قضية كونية عندما يريد الاستدلال على فكرة كونية من القرآن الكريم؛ فعليه الرجوع إلى أهل الاختصاص الشرعي لمعرفة مطابقته وصحته، أو لضبط استدلاله وتصحيحه وحسن توجيهه.

وهنا نذكر محكِّمًا أخلاقيًا في هذا المعيار: وهو التجرد من العوامل المؤثرة في العمل العلمي:

«كالتجرد والتنزه عن الانسياق بدافع الخلفيات المسبقة لعمله، كمعلومات يريد إخضاع النص القرآني لها، أو محاولة إرضاء أشخاص أو مؤسسات بموافقة أفكارهم، سواء كان هذا الانسياق فكريا أو مذهبيًا أو عاطفيًا أو غيرها من العوامل المؤثرة في نزاهة الباحث وتجرده العلمي»[(١)]، «فإذا لم يكن الباحث أو المفسر على ذلك القدر من التجرد وصفاء التأمل ودقة التعامل مع النصوص؛ فإن عناصر التشويش والتدليس والتلبيس كثيراً ما تستخف الباحثين في نشاطاتهم وكتاباتهم فتأتي على الغرض المرجو بالتفويت وكفى بذلك غيًا مبينًا»[(٢)].

٢-المعيار الدلالي:

وهذا لبّها المعايير وأساسها وركنها، فالقرآن نزل بلسان عربي مبين، ولذلك «لا بد أن يخضع التفسير العلمي للقرآن لدلالات اللغة العربية وقواعدها الإعرابية والصرفية التي لا تستند إلى قول مهجور غير معمول به في اللغة والنحو»[(٣)]،

(١) التفسير والإعجاز العلمي ضوابط وتطبيقات ١/ ١٨٥

(٢) الإعجاز العلمي د. عبد الحفيظ حداد صـ٧٨.

(٣) التفسير والإعجاز العلمي ضوابط وتطبيقات ١/ ٢٠١

والأخذ بقواعد علم المعاني وأساليب البيان ومراعاتها في التفسير العلمي للقرآن الكريم، الأخذ بمعاني الحروف وعدم تحميلها ما لا تحتمل.

يقول الزركشي: «وليس لغير العالم بحقائق اللغة ومفهوماتها تفسير شيء من الكتاب العزيز، ولا يكفي في حقه تعلم اليسير منها، فقد يكون اللفظ مشتركاً وهو يعلم أحد المعنيين»[١]، فيجب على المفسر أن يعتني بغريب الآية، ومعرفة الوجوه والنظائر[٢].

فالنص القرآني يحمل في نظمه دلالات العلوم المختلفة، ومنها العلوم الكونية، ولذلك نجد الراغب الأصفهاني (٥٠٢هـ) يعقد فصلاً في مقدمة التفسير بعنوان: «فصل في انطواء كلام الله تعالى على الحكم كلها علميها وعمليها»[٣]، وأراد به دخول العلوم في دلالة القرآن الكريم؛ وعلَّلَ قصور فهم الأكثرين لها إلى شيئين:

➢ **أحدهما**: راجع للَّفظ؛ لما اختصت به اللغة العربية من أنواع الحذف والاستعارات وغير ذلك مما تميزت به، ولما اختص به أسلوب القرآن الكريم من الإيجاز في اللفظ المنطوي على المعاني الكثيرة.

➢ **والثاني**: راجع للمعنى، وفي ذلك يقول الراغب: «وأما الراجع إلى المعنى فذكْرُه تعالى أصولاً منطوية على فروع؛ بعضها بينه النبي صلى الله عليه وسلم، وبعضها فوض استنباطه إلى الراسخين في العلم تشريفاً لهم وتعظيماً لمحلهم»[٤].

---

(١) البرهان ٢/ ٣٠٦.

(٢) انظر: الإتقان ١/ ٢٨٣ والوجوه: اللفظ المشترك، والنظائر: الألفاظ المتواطئة.

(٣) مقدمة التفسير للراغب الأصبهاني صـ٤١٣

(٤) المصدر السابق صـ٤١٤.

و كذلك نجد سليمان بن عبد القوي الطوفي يقسّم علم القرآن إلى نوعين[١]:

- لفظي: أي ما يتعلق بلفظه كالغريب والتصريف والإعراب.
- ومعنوي: كالتنبيه على النظر في السموات والأرض وما فيهما من الأفلاك والنجوم وحركتها والدواب والمعادن.. إلخ.

محكمات هذا المعيار:

أولاً: مراعاة مراتب الدلالة[٢]: ينبغي على المفسر أن ينتبه بحذر إلى نوع الدلالة في الآية على القضية التي يتحدث بها، لأن دلالة القرآن على مختلف العلوم متنقلة من أعم إلى عام حتى نصل إلى مسألة بخصوصها **وهي على أقسام:**

١- دلالة مفتوحة: تشمل كل الموجودات والمخلوقات من بدء الخليقة، وهي من باب أعم العمومات، وذلك كقوله تعالى: ﴿إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ﴾ [القمر: ٤٩]، فيدخل هذه الآية نظام الحياة بدقائقها، ونظام الكون بتفاصيله، وكل ما اكتشف وما سيكتشف عن نظام الكون وما فيه من أنواع المخلوقات من بدء الخليقة؛ وما سيكون كل ذلك داخل في دلالة الآية المفتوحة.

٢- دلالة أعمّ العام: كالدلالة التي تعمّ الكون كله، كما في قوله تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَوْا أَنَّ اللَّهَ سَخَّرَ لَكُم مَّا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَأَسْبَغَ عَلَيْكُمْ نِعَمَهُ ظَاهِرَةً وَبَاطِنَةً﴾ [لقمان: ٢٠]، فما في السماوات والأرض أعم من عموم النجوم والكواكب والجبال ونحو ذلك من المسخرات، وذكر النعم المسبوغة ظاهرة وباطنة أعم من عموم نعمة الزروع والثمار واللباس والأمن ونحو ذلك.

٣- دلالة عامة: وهي الدلالة على ما يصلح دخوله في وصف الآية من أفرادها، وذلك كعموم أنواع التسخير في قوله تعالى: ﴿وَسَخَّرَ لَكُمُ الشَّمْسَ

(١) انظر: الإكسير في علم التفسير صـ ١٧-٢٠.

(٢) انظر: التفسير والإعجاز العلمي ضوابط وتطبيقات ١/ ٢١٠

وَٱلْقَمَرَ دَآئِبَيْنِ ۖ وَسَخَّرَ لَكُمُ ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ ﴾ [إبراهيم: ٣٣]، ونحو ذلك في القرآن كثير.

٤- دلالة خاصة على القضية العلمية المتكلم عنها: سواء كانت هذه الدلالة المباشرة من ظاهر النص؛ أو من إشارة النص ونحوها، كالدلالة بالمفهوم أو الفحوى، أو غير ذلك مما هو معروف في أصول الاستنباط بأنواع الدلالات.

ومثال ذلك الكلام على تولد اللبن في قوله تعالى: ﴿ وَإِنَّ لَكُمْ فِى ٱلْأَنْعَٰمِ لَعِبْرَةً ۖ نُّسْقِيكُم مِّمَّا فِى بُطُونِهِۦ مِنۢ بَيْنِ فَرْثٍ وَدَمٍ لَّبَنًا خَالِصًا سَآئِغًا لِّلشَّٰرِبِينَ ﴾ [النحل: ٦٦]، والكلام على أطوار خلق الإنسان وولادته في الآيات، ونحو ذلك في القرآن.

ثانيًا من محكمات المعيار الدلالي: مراعاة أقسام الدلالة[(١)]:

يجب على المفسر أن يراعي أقسام الدلالة، بأن يبين درجتها بالنسبة للمسألة العلمية التي يراد استنباطها من الآية ووجه استنباطها، كصيغ العموم والخصوص والمطلق والمقيد، واسم الجنس، ومنطوق الخطاب ومفهومه وإشارته..الخ، ونحو ذلك من مباحث الدلالات، إذ يجب على المفسر بالتفسير العلمي أن يعتني بهذه الأمور في أثناء تفسيره، وأن يدقق في قوة الاستدلال، ويستثمر ذلك ما استطاع في استنباط العلوم، ويستثمر المعارف في بيان دلالة اللفظ وتوسيعها، وأن يبين وجه الترابط والعلاقة الدلالية بين الآية والمعلومات الكونية الموظفة في تفسيرها أو المستنبطة منها.

ثالثًا: من محكمات المعيار الدلالي: مراعاة اللفظ الدال على عدة معاني:

فإن كان اللفظ يحتمل معنيين متناقضين كالقرء مثلاً؛ كان أحد النقيضين أو الضدين متعينًا للإرادة؛ لاستحالة الامتثال بالجمع بينهما[(٢)]، أما إن لم يشتمل التناقض وأمكن الجمع بين الأقوال فيجمع بينها؛ يقول الطوفي: «فإن احتمل اللفظ جميعها وأمكن أن تكون مرادة منه؛ وجب حمله على جميعها ما أمكن،

---

(١) ينظر أقسام الدلالة: وروضة الناظر لابن قدامة المقدسي صـ١٤، البحر المحيط للزركشي ٢/ ٣٦،

(٢) الإكسير في علم التفسير للطوفي صـ١٢.

سـواء كان احتمالـه لها مسـاوياً أو كان في بعضها أرجح من بعـض، وإلا فحمله على بعضها دون بعض إلغاء للفظ بالنسـبة إلى بعض محتملاته من غير موجب، وهـو غير جائز، ولأنه لـو جاز أن يكون مـراداً فإعمال اللفظ بالنسـبة إليه أحوط مـن إهمالـه؛ نعم إن كان احتمالـه لها متفاوتـاً في الرجحان جـاز في مقام الترجيح تقديـم الأرجح فالأرجح بحسـب دلالـة اللفظ عليه، أو جلالـة قائله، أو عاضده الخارجي، وغير ذلك من وجوه الترجيحات»[١].

وعليه فإن المشـترك سـواء كان في الألفاظ أو في معـاني الأدوات يحمل على جميـع معانيه ما أمكن الجمع بينها أو تسـاوت درجة احتمالهـا على الراجح[٢]، «خاصـة إن أمكن الجمع بينها، بحَمْل معاني المشـترك على اختلاف الاعتبارات والأحـوال؛ لأن ذلك يوسـع في دلالات الألفـاظ والمعاني، ويعطي اسـتنباطات علمية متعددة يحتملها النص القرآني، مالم تكن ثَمَّة قرينة ترجح أحد هذه المعاني فإنـه يقدم المعنـى الراجح، ومع ذلك تبقـى المعاني الأخرى محتملـة، وإذا أراد المفسر حمل المشترك على أحد معانيه بقرينة فينبغي أن يبين أن المعاني الأخرى محتملة ولا يجوز تخطئتها أو إلغاؤها ما لم يكن عنده قرينة قوية تبين خطأها»[٣].

يقول عثمان بن جني (ت: ٣٩٢): «اعلم أن المذهب في هذا ونحوه أن يعتقد الأقوى منهما مذهبـاً، ولا يمتنع مع ذلك أن يكون الآخر مراداً وقولاً»[٤].

---

(١) الإكسير صـ١٣.

(٢) المشـترك: اللَّفْظُ الْوَاحدُ الدَّالُّ عَلَى مَعْنَيَيْنِ مختلفين أَوْ أَكْثَرَ دَلاَلَةً عَلَى السَّـواءِ عِنْدَ أَهْلِ اللُّغَةِ، سـواءٌ كَانَتْ الدَّلاَلَتَانِ مُسْتَفَادَتَيْنِ مِنْ الْوَضْعِ الْأَوَّلِ؛ أَوْ مِنْ كَثْرَةِ الِاسْتِعْمَالِ، أَوْ اُسْتُفِيدَتْ إحْداهُمَا مِنْ الْوَضْعِ وَالْأُخْـرَى مِـنْ كَثْـرَةِ الِاسْـتِعْمَال؛ وهو في اللغـة على الأصح، وهو واقع شـرعـاً وعقـلاً. انظر تعريف المشـترك ومسـألة هل يحمل المشـترك على معانيه أم على معنى واحد: المحصول للرازي ١/ ٢٦٨، البحر المحيط للزركشي ٢/ ، ١٢٢ .

(٣) انظر: التفسير العلمي ضوابط وتطبيقات ١/ ٢٢٩.

(٤) الخصائص لابن جني ٢/ ٤٨٨، تحقيق محمد علي النجار ط دار الكتاب العربي.

رابعاً: من محكمات المعيار الدلالي: مراعاة السياق:[١]

ذلك لأن السياق من القرائن المعتبرة في تعيين المعاني والترجيح في التفسير؛ «فلذلك لا يجوز للمفسر في التفسير العلمي أن يقطع نصاً عما قبله وبعده، ويتجاوز سياق الآية ودلالتها على ترجيح معنى أو تخصيص لفظ بدلالة أو ما شابه»[٢]؛ يقول الزركشي في معرض كلامه عن تفسير ما لم يرد فيه نقل: «وطريق التوصل إلى فهمه النظر إلى مفردات الألفاظ من لغة العرب ومدلولاتها بحسب السياق، وهذا يعتني به الراغب كثيراً في كتاب (المفردات) فيذكر قيداً زائداً على أهل اللغة في تفسير مدلول اللفظ، لأنه اقتنصه من السياق».[٣]

ويدخل في مسألة السياق: معرفة المناسبات بين الآيات والجمل في الآية الواحدة، وتطبيق ذلك في قول الرازي في تفسيره: «وإنما حسن تفسير لفظ معين لشيء معين إذا حصل بين ذلك اللفظ وبين ذلك المعنى مناسبة، أما إذا لم تحصل هذه الحالة؛ كان ذلك التفسير فاسداً»[٤].

وأختم هنا بمحكم أخلاقي: «يجب على المشتغل في التفسير العلمي أن يحسن التعامل مع نصوص التفسير وأقوال العلماء، وأن ينزلها مكانها من حيث السبك والفهم، وأن لا يحملها ما لا تحتمل، أو يجعلها في موضع لا تدل عليه»[٥]، **وعليه أيضاً**» تحاشي العبارات التي تحمل طابع التسفيه لأقوال العلماء السابقين من سلف هذه الأمة حتى ولو ظهرت لهم أخطاء، بل يتأدب في رد الخطأ مع

---

(١) وللتوسع في مسألة دلالة السياق ينظر: دلالة السياق إعداد: ردة الله بن ردة الله بن ضيف الله الطلحي، رسالة دكتوراه مطبوعة في جامعة أم القرى مكة الأولى ١٤٢٣.

(٢) التفسير والإعجاز العلمي ضوابط وتطبيقات ١/ ٢٣٢.

(٣) البرهان ٢/ ٣١٣.

(٤) تفسير الرازي ٢٠/ ٨٢.

(٥) انظر: التفسير والإعجاز العلمي ضوابط وتطبيقات ١/ ٢٤٨.

الأخـذ بعين الاعتبار أنه ربمـا ظهر وجه يجعل كلامهم الـذي قالوه معتبراً، وكم عاب إنسان غيره وكان العيب عنده لقصور فهمه»[١].

٣ - المعيار الأصولي: من حيث قواعد أصول الفقه والتفسير:

إن مـن المعلـوم أن أصـول الفقه هـو قواعد الاسـتنباط والفهـم، ولا تخفى علاقة أصول الفقه بأصول التفسـير وبيانه، فلا بد للمفسر من الإحاطة الإجمالية بقواعـد أصول الفقه وأصول التفسـير وطرق الاسـتنباط، وتوظيف ذلك في أثناء التفسـير العلمي، وبالمجمل «**يجب أن يستند التفسير العلمي للقرآن على قواعد الاستنباط المعتبرة عند العلماء والمدونة في مظانها المعتمدة، فما كان من القواعد والأصـول المتفق عليها فهي محكمات أصلية لا يجوز الإخلال بها، وما كان من القواعد والأصول المختلف فيها فيسـع المسـتنبط أن يكون اسـتناده إليها بطريقة صحيحة بشـروطها عند أصحابها، ويُترك** للمفسـر منهجه باعتبار ما يراه مناسـبًا من هذه القواعد في حسن استدلاله ما دامت القاعدة لها حظها من الاعتبار»[٢].

ومن أهم محكمات هذا المعيار:

أولاً: اتباع أحسن طرق التفسير.

وهو من محكمات أصول التفسير، يقول ابن تيمية رحمه الله: «وأحسن طرق التفسير: أن يفسر القرآن بالقرآن فما أُجمل في مكان فقد فُصِّل في موضع آخر، وما اختصر في مكان فإنه قد بسـط في آخر، فإن أعياه ذلك فعليه بالسـنَّة فإنها شـارحة للقـرآن وموضحة له، قال تعالـى: ﴿وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ﴾ [سورة النحل:٤٤]، فـإن لم يوجد في السـنة يرجـع إلى أقوال الصحابة فإنهم أدرى بذلك، لما شـاهدوه من القرائن ولما أعطاهم الله تعالى من

(١) كيف تكتب بحثًا في الإعجاز العلمي، د. عبد الحفيظ حداد، مجلة الإعجاز العلمي، صـ٢٠ العدد ١٧.

(٢) انظر: التفسير والإعجاز العلمي ضوابط وتطبيقات ١/ ٢٤١، ٢٤٢.

الفهم العجيب فإن لم يوجد ذلك يرجع إلى النظر والاستنباط»[١]، ومن المعلوم أن أولى الأقوال في التفسير وأحسنها ما اجتمعت فيه هذه الطرق كلها في تفسير آية، فينبغي على المفسر أن يلتزم بهذا ويراعيه في تفسيره العلمي،.

وينبغي الابتعاد عن الأحاديث الواهية والمنكرة والأقوال التي لا أصل لها، وتجنب الإسرائيليات في التفسير العلمي، وأما الحديث الضعيف الذي لم يشتد ضعفه فإن عمل المفسرين يقتضي العمل به في التفسير وهو أولى من الاجتهاد في المعاني.

ثانيًا: من محكمات المعيار الأصولي: تخصيص العام بدليل الحس أو العقل:

وهذا محكم مهم في التفسير والإعجاز العلمي، لأن ارتباطه ببراهين وقضايا كونية ترتبط بالمعقول والمحسوس، «وقد ذكر الأصوليون من أدلة تخصيص العموم: دليل الحس أو الواقع، ودليل العقل، وقالوا بجواز تخصص العام بالحسِّ والعقل وذكروا لذلك أمثلة، وكذلك يجوز في التفسير العلمي تخصيص الدلالة إذا كان المخصص من الواقع والمسائل العلمية الصحيحة وشهد لها الحس والتجربة، إذا كان هذا الحس ينسجم مع دلالة اللفظ ونظم الآية»[٢] وفق المعيار الدلالي ومحكماته.

ومثال ذلك العموم في قوله تعالى: ﴿ ثُمَّ كُلِي مِن كُلِّ ٱلثَّمَرَٰتِ ﴾ [النحل: ٦٩] فقد خصص بعض المفسرين عمومها بالعرف وبعضهم بالعادة[٣].

وكما جاز التقييد والتخصيص بالحس والمشاهدة فإن «توسيع الدلالة بالحس والمشاهدة بما لا يتعارض مع الأصل اللغوي والسياق القرآني؛ جائز كالتخصيص بهما»[٤].

---

(١) انظر: مقدمة في أصول التفسير لابن تيمية صـ٩٣، البرهان للزركشي ٢/ ٣١٥.

(٢) ينظر: المستصفى للغزالي ٢/ ٩٩، ١٠٠.

(٣) انظر تفصيل المسألة في التفسير والإعجاز العلمي ضوابط وتطبيقات ٢/ ٦٣٢.

(٤) انظر: التفسير والإعجاز العلمي ضوابط وتطبيقات ١/ ٢٠٥، ٢٠٦.

٤ - المعيار الإحاطي: وهو معيار يتعلق بالإحاطة بأهم قضايا علوم القرآن:

يلزم على المفسر أن يحيط بالعلوم المتعلقة بالآية أو الآيات التي يفسرها من سبب نزول أو نسخ إن كانت من آيات الأحكام، ومن كونها مكية أو مدنية لأن هذا يفيد في دراسة الجو الذي نزلت فيه الآيات فيضفي عليها أثراً فكرياً وعلمياً جديداً، وكذلك العناية بالقراءات؛ فإن معرفة القراءات تفيد في ترجيح معنى على معنى آخر والتوسع في دلالة الآية، «لأن تعدد القراءات يعني تعدد دلالات المفردة القرآنية وتعدد معانيها وعلومها»[١]، وأيضاً فإن قراءةً تفسر قراءة؛ من باب تفسير القرآن بالقرآن، وكذلك العناية بالوقف والابتداء؛ «فمن تمام معرفة إعراب القرآن، ومعرفة معانيه وغريبه؛ معرفةُ الوقف والابتداء»[٢].

٥- المعيار المنهجي: وهو معيار يتعلق في منهج التعامل مع المعلومات الكونية:

هذا المعيار يتعلق في منهجية التعامل مع المعلومات الكونية التخصصية، فالمفسر أو المشتغل بالتفسير العلمي للقرآن إما أن يكون عمله الاستشهاد بالعلوم التطبيقية والتجريبية على دلالة الآية وبيان ما فيها من علوم، أو يكون مستنبطاً لقضية علمية من القرآن الكريم، فالعلوم التجريبية والتطبيقية تنقسم في عمومها إلى ثلاثة مراتب:

أحدها: الفرضية: وهي الطرح الاحتمالي الذي لم يصل إلى مستوى الترجيح حتى تكون نظرية. فهي إما ظن مرجوح ليس له برهان أو دليل، أو ظن متردد بين احتمالين أو احتمالات متكافئة[٣]

---

(١) انظر: علوم القرآن د عتر صـ ١٥٤.

(٢) انظر: إيضاح الوقف والابتداء، لأبي بكر ابن الأنباري ١/ ١٠٨.

(٣) انظر: قواعد التدبر الأمثل صـ ٢٣٢.

ثانيها: النظرية: هي: «قضية محتاجة إلى برهان لإثبات صحتها»[١]، و«النظرية العلمية بناء متراكم وهائل من المعلومات التي تضم فرضيات مجربة، تم التحقق منها بأوجه معينة من العالِم الطبيعي، ومع ذلك فالنظريات العلمية غير ثابتة، لأنها تتطور عبر مراحل من إعادة التنقيح والتعريف، فعلى سبيل المثال نقحت نظرية الذرة مرات عديدة كلما شوهد سلوك ذري جديد من مئة سنة مضت»[٢].

ثالثها: الحقيقة العلمية: وهي الأمر الثابت المستقر الذي شهدت له التجربة وقام الدليل والبرهان على صحته بلا خلاف.

و «**الواجب على المفسر أن يستدل في تفسير القرآن بأقوى القرائن المتاحة له، وإن لم توجد له قرينة صحيحة أو يغلب على الظن صحتها؛ فيرجع إلى الأصل اللغوي ويكتفي به عن الظن المرجوح والفرضيات المشكوكة التي لا برهان لها**»[٣].

محكمات هذا المعيار[٤]:

أولاً: «إذا ثبتت حقيقة علمية بأدوات ووسائل البحث العلمي الإنساني ثبوتًا قطعيًا، وقد تعرض لها القرآن ببيان ما، وجب فهم النص أو النصوص القرآنية بمقتضاها».

لكن لا يعني هذا اقتصار معنى الآية على ذلك وعدم احتمالها لغير ذلك من المعاني، فإنه حجر في الدلالة والله أعلم.

ثانيًا: «إذا قدم علماء البحث العلميّ بأدواتهم ووسائلهم الإنسانية نظرية من النظريات ذات رجحان ظني، وذات نفع في مجال التطبيقات العملية، ولم يقل

---

(١) المنجد صـ٨١٧ مادة: نظر.

(٢) انظر: مفاهيم العلوم الفيزيائية صـ ٤، بول ج هويت، جون أ. سوشكوي، لسلي أ. هويت.

(٣) التفسير والإعجاز العلمي ضوابط وتطبيقات ١/ ٢٩٣ .

(٤) انظر: قواعد التدبر الأمثل لكتاب الله عزوجل الشيخ عبد الرحمن حبنكة صـ٢٣٧.

العلماء حولها الكلمة الأخيرة القطعية بالأدلة والبراهين القطعية، وقد تعرض لها القرآن ببيان ما فالمنهج كما يلي:

إذا كان النص القرآني يحتمل التفسير ضمن ضوابط فهم النصوص العربية بما يتفق مع هذه النظرية؛ فلا مانع من جعل تفسيره بما يتفق معها أحد الاحتمالات التي يمكن أن يفهم النص بمقتضاها، ولكن دون جزم ولا قطع، وتظل الاحتمالات الأخرى التي يحتملها النص مفتوحة ومطروحة، حتى يأتي اليقين العلمي الذي تقرره أدوات ووسائل البحث العلمي الإنسانية.

ثالثاً: إذا قدم علماء البحث العلمي أو بعضهم فرضية من الفرضيات حول موضوع من الموضوعات التي تعرض لها القرآن ببيان ما، فليس على متدبر النص القرآني أن ينظر إلى هذه الفرضية بأكثر مما ينظر إلى أي احتمال آخر يمكن أن يفهم النص بمقتضاه».

إذن فلا ينبغي في التفسير العلمي للقرآن الاستدلال بالفرضيات، بل ينبغي الرجوع إلى طرق التفسير والاعتماد على الدلالة اللغوية بمحكماتها، فهي أقوى وأحكم من الفرضيات مهما كانت منطقية.

رابعاً: إذا كان النص القرآني لا يمكن حمله بمقتضى قواعد فهم النصوص العربية على معنى يناسب النظرية أو الفرضية، فليس من حق متدبر كلام الله تعالى أن يطوعه بهواه ليقبل الدلالة على ذلك، أو يكرهه إكراهاً بتأويلات متعسفة.

خامساً: ينبغي على المفسر أن يكون على دراية بخلفيات مراكز الأبحاث العلمية -خاصة منها الغربية- التي تُصدّر النظريات والدراسات العلمية، بأن لا تكون تابعة لجهة تجارية أو سياسية أو «إيديلوجية»، فيكون عمل المفسر في هذه الحالة نشر مذاهبهم والتهيئة لأفكارهم تحت راية القرآن، وهذه مصيبة عدم الوعي، فلا يجوز بحال من الأحوال جعل النصوص القرآنية ألعوبة بأيدي

مناصري النظريات أو الفرضيات التي يقول بها علماء البحث العلمي الإنساني.

سادسـًا: أن يقتصر من المعلومات على ما يخدم بحثه في التفسير، ويوضح دلالاته، وقد يحتاج بعض المفسرين إلى ذكر مقدمة في العلم الذي يبحثه في القرآن الكريم، أو في آية كالتمهيد أو المدخل لبحثه، فلا بأس بذلك إن اقتصر على الضروري من المعلومات التي تعطي الفكرة العامة، ليحسن القارئ فهم دلالة الآية على ذلك، وإن أراد بعض التوسع فليكن في التعليقات أو الملحقات التي ليست من أصل بحثه.

سابعـًا: يجب على المفسر أن يعتني بمصادر معلوماته العلمية التي يستدل بها في التفسير العلمي للقرآن، فلا يكون حاطب ليل يجمع من مقالات صحفية أو من كتب غير مختصة، بل لا بد أن يوثقها من مصادرها الموثوقة.

* * *

المبحث الثاني
القراءة العلمية النقدية للبرنامج

أستعرض في هذا المبحث نماذج مختارة من البرنامج وفق ما سبق في الإجراءات، فأعرض عنوان الحلقة، ثم الأفكار الأساسية لها، مع اقتباس بعض فقرات من نصوص الترجمة ذات الأهمية في التحليل والنقد، ثم أحلل الفكرة مع نقدها.

النموذج الأول: في الحلقة المقدمة بعنوان: «دراهم يوسف، ولغة أول انسان، وقبر شعيب»[(١)].

أفكار الحلقة الأساسية:

أولاً: بدأ البرنامج باعتماد أن مدينة مدين ليست في بلاد الشام، وإنما في اليمن، واستدل على ذلك بوجود مسجد وجبل في اليمن اسمه «النبي شعيب»، بل حدد البرنامج موقع مدين في منطقة عزلة المنار على الخط الذي يربط صنعاء بمدينة أب وتعز، وبناء على ذلك نفى أن يكون شعيبا في بلاد الشام.

وأما فرعون فقد كان في جنوب مصر، وليس في شمالها، وبناء على ذلك فإن موسى برأيهم هرب من فرعون إلى مدين التي في اليمن، واستدلوا على ذلك بالآتي:

- أن موسى تكلم مع أهل مدين بطلاقة، ولم يحتج إلى مترجم، وهذا يعني أن موسى كان يعرف لغتهم، بناء على ما ذكره القرآن الكريم من قصة موسى مع بنات شعيب عندما ورد بئر مدين، وانتهت بزواج موسى من إحدى ابنتي شعيب.

---

(١) نشرت الحلقة بتاريخ ٤/ ٦/ ٢٠٢٠ انظر الرابط:
https://www.youtube.com/watch?v=WAZtrVMl4m0

- أن الناس في السودان جنوب مصر وبحدود عام (١٨٩٩ ق م) كانوا يتحدثون نفس لغة أهل مدين التي في اليمن كما يقولون، وهي اللغة العربية الحميرية (الجنوبية كما أسموها هم)، وهي لغة اليمن والحبشة ويطلق عليها أيضاً اسم اللغة «الجعيزية».

- تبنى البرنامج افتراضاً، وهو أن اللغة العربية تنقسم إلى لغة جنوبية «حميرية» وهي لغة أهل اليمن وشمال السودان ومرتفعات الحبشة وأثيوبيا، ولغة شمالية «فصحى» وهي لغة الجزيرة العربية المتمثلة حاليا بالمملكة العربية السعودية، وهما لغتان ذات أصل مشترك، ولذلك هم يفهمون بعضهم.

ثانياً: دون مقدمات؛ يقول البرنامج بالحرف: «والآن نحن نتفق على أن موسى قد ولد ونشأ في الجزء الجنوبي من مصر، وتحدث بلغة أهلها وهي لغة فرعون وبني إسرائيل»، ثم تدور فكرة الحلقة على أن أصل بني إسرائيل في جنوب الجزيرة العربية، واحتج لذلك: بقصة يوسف عليه السلام ابن النبي يعقوب أصل بني إسرائيل»، فالرجل «الذي اشترى يوسف من مصر دفع بعملة الدراهم، وهي العملة التي كانت تستخدم في هذا الجزء من مصر [يقصد الجنوبي]، وإذا عرفنا أي منطقة كانت تستخدم الدراهم في مصر فسيقودنا ذلك إلى معرفة أين تم بيع يوسف؟، وما إذا كانت القافلة دخلت مصر من الشمال من خلال سيناء قادمة من الشام أم دخلت من الجنوب من خلال الحبشة، قادمة من جنوب شبه الجزيرة العربية (اليمن)، المنطقة التي كانت تستخدم الدراهم في ذلك الوقت كانت المنطقة الجنوبية من شبه الجزيرة العربية، المعروفة الآن باسم اليمن، هذا يعني أن يوسف دخل مصر من الجنوب قادما من شبه الجزيرة العربية أي قادما من اليمن، وهذا يعني أن بني إسرائيل هم في الأصل بدو عرب من جنوب شبه الجزيرة العربية، وهنا علينا الإشارة أن عملة الدرهم كانت مستخدمة في الحبشة وقتها، حتى شمال

السودان، وهذا سبب في تعزيز التبادل التجاري بين هذه المناطق، ومما زاد علاقة التبادل التجاري قوة، هو استخدام هذه المناطق لنفس اللغة العربية، اللغة العربية الجنوبية كما أوضحنا سابقا، أو اللغة الحميرية، وبهذه البساطة: لغة واحدة، عملة واحدة، **لو كان يوسف يعيش في الشام وتم بيعه في شمال مصر، فما كان للمشتري أن يدفع فيه بعملة الدرهم، لأن عملة الدرهم لم تستخدم أصلا في شمال مصر أو الشام**، ومع ذلك فإن **هناك مفهوما خاطئا شائعًا أن يوسف ووالديه وأخوته؛ قدموا من الشام إلى مصر، وذلك كله لإثبات أن أصول بني إسرائيل من الشام،** والقرآن الكريم قال على لسان يوسف: ﴿وَجَآءَ بِكُم مِّنَ ٱلۡبَدۡوِ﴾ [سورة يوسف:١٠٠]، **ومن المستحيل أن يشير الناس في مصر إلى الناس في الشام على أنهم بدو، لأن البدو كانوا يقطنون شبه الجزيرة العربية وقتها**»، ثم تطرق البرنامج إلى هجرة العرب إلى الحبشة وبالعكس وتأثير ذلك على العلاقات التجارية وغيرها، كما «أدت إلى توحد اللغة بينهما؛ لهذا السبب كانت اللغة العربية الجنوبية هي لغة كل من الحبشة واليمن، ولإثبات ذلك عندما هاجر المسلمون الأوائل إلى الحبشة هروبا من اضطهاد قريش، التقوا النجاشي، حاكم الحبشة حينها»، وبعد أن ذكروا قصة النجاشي وجعفر رضي الله عنه قالوا: «والسؤال الأهم: كيف فهم النجاشي وقساوسة الحبشة لغة القرآن؟ فهم يتحدثون الحبشية بينما جعفر يتكلم العربية الشمالية، هذا يثبت أن لغة الحبشة ذلك الوقت كانت نفس اللغة المستخدمة في جنوب شبه الجزيرة العربية، اليمن، ولأن اللغات العربية الشمالية والجنوبية لهما أصل مشترك واحد كما ذكرنا سابقًا».

فكل ما سبق إذن «يثبت أن موسى كان يتحدث نفس لغة فرعون وأن هروب موسى من فرعون في شمال السودان إلى الجنوب في مدين اليمن منطقي تمامًا»،«**وهناك أيضا الدليل العلمي على أن أول إنسان تم اكتشافه أيضا داخل**

هذا المثلث، وعلى وجه التحديد في الحبشة؛ حيث وجدت أول حضارة في العالم، فهذا يدل على أن أول لغة استخدمها البشر كانت هذه اللغة العربية الجنوبية»، وبناء على ما سبق استنتج البرنامج الآتي:

اللغة العربية الجنوبية (الحميرية) هي الأقدم، وهي اللغة الأولى التي عرفها البشر، وهي أصل كل اللغات الأخرى، استمرت بالانتشار انطلاقا من اليمن والحبشة، عبر الهجرة إلى شمال وشرق السودان، ثم تطورت إلى ثلاث لغات فرعية: اللغة الأمهرية *amharic* (الأثيوبية)، التقرنية *Tigrinya* في أرتيريا، والتقرايت *tagrayt* في شرق وشمال السودان، جميع هذه اللغات لها قواسم مشتركة واحدة، وتكتب باستخدام نفس الأبجدية».

التحليل والنقد:

من خلال ما سبق نجد الحلقة قد استندت إلى مفاصل تاريخية وجغرافية مهمة أسقطتها على النص القرآني، وقلبت فيها مفاهيم أساسية في الأماكن وهذا سيؤثر على فهم القصة القرآنية:

أحدها: إن مدين المذكورة في القرآن ليست بين الحجاز والعقبة في شمال غرب الجزيرة العربية، وإنما في اليمن، واستند البرنامج على وجود جبل شعيب باليمن وفيه قبر النبي شعيب، ولكن الحقيقة التي غفل عنها البرنامج أن تسمية الجبل في اليمن باسم جبل شعيب إنما هي تسمية شعبية؛ والاسم الحقيقي لهذا الجبل هو: جبل حَضور[1]، نسبة لحضور بن عدي بن مالك، وإنما شاعت تسميته بـ«جبل شعيب» لأسباب شعبية ولعُرفٍ جاري في تلك المنطقة، ويرجع سبب

(١) انظر كتاب صفة جزيرة العرب، الحسن بن أحمد الهمذاني،، صـ ١٢٢ وانظر تعليق المحقق في الحاشية رقم (٦) من نفس الصفحة، أكد الهمذاني هذه المعلومة في كتابه الإكليل من أخبار اليمن وأنساب حمير ٢/ ٢٢١.

هذه الإشاعة إلى وجود قبر ينسب إلى شعيب يقال بأنه نبي، ويذكر مؤرخ اليمن أبو محمد الحسن بن أحمد الهمذاني ت(٣٦٠هـ) في كتابه الإكليل[١] أن شعيباً هذا هو من أولاد المهدم بن ذي المقدم بن حضور بن عدي، أرسله الله إلى أهل حضور، فكذبوه وقتلوه فأرسل الله عليهم ملائكة يضربون وجوههم وأدبارهم، معتمدا في ذلك رواية ابن عباس رضي الله عنه.

وعلى فرض التصديق لهذه الرواية؛ فإن النبي شعيباً المذكور في القرآن -وهو من أهل مدين، وهو الذي لقيه موسى عليه السلام[٢] - من أحفاد مدين بن إبراهيم[٣]، وباسم الجد «مدين» تسمى القوم بمدين، فنسبه يختلف عن شعيب الحضوري، كما أن شعيباً الحضوري الذي في اليمن - على فرض التسليم بذلك- ؛ كان في زمن بختنصر، كما ذكر المؤرخون وبعض المفسرين، يقول صاحب سبائك الذهب:

«وبنو حضور بطن من حمير، ومن بني حضور شعيب بن ذي مهدم بعثه الله إليهم نبياً فقتلوه، فسلط الله تعالى بخت نصر فغزاهم فقتلهم، وفيهم أنزل الله تعالى: ﴿ فَلَمَّآ أَحَسُّواْ بَأۡسَنَآ إِذَا هُم مِّنۡهَا يَرۡكُضُونَ ﴾ [الأنبياء:١٢]»[٤]، وبذلك اختلف الزمان والمكان والأشخاص.

---

(١) الإكليل للهمذاني، ٢/ ٢٢٣، ثم انظر ٢/ ٢٩٤ من الكتاب في نسب شعيب بن مهدم بن ذي المقدم كاملاً.

(٢) وهو الراجح قال ابن كثير: «وهذا هو المشهور عند كثيرين وممن نص عليه الحسن البصري ومالك بن أنس، وجاء مصرحا به في حديث ولكن في إسناده نظر وصرح طائفة بأن شعيبا عليه السلام عاش عمرا طويلا بعد هلاك قومه حتى أدركه موسى عليه السلام وتزوج بابنته» البداية والنهاية ١/ ٢٨١، وجزم بذلك ابن عاشور في تفسيره في موضعين من تفسيره: التحرير والتنوير القسم الثاني من ٨/ ٢٤٠، وكذلك ٢٠/ ١٠١.

(٣) انظر: سبائك الذهب في معرفة قبائل العرب، محمد أمين البغدادي صـ ٥٠ ، وتفسير الثعالبي ٧/ ٢٤٤.

(٤) سبائك الذهب صـ ٦٥، وانظر: اللباب لابن عادل ١٣/ ٤٥٦، وتفسير الثعالبي ٤/ ٨٢ .

أما أرض «مدين»؛ فهي محاذية لتبوك؛ بين الحجاز والعقبة قريبا من البحر الأحمر[١]، وهي في الأصل من العرب العاربة[٢]، وكانت مدينة مدين على طريق مصر، يقول اليعقوبي أحمد بن إسحاق (٢٩٢هـ) : «ومن أراد أن يسلك من الشام على فلسطين إلى مكة سلك جبالا خشنة حزنة حتى يصير إلى إيلة، ثم إلى مدين، ثم يستمر به الطريق مع أهل مصر والمغرب»[٣]، ونظراً لموقعها المهم؛ حرص ملوك مصر على حكمها زمنا، إلا أنها في زمن موسى لم تكن تحت حكم فرعون[٤]؛ ولذلك لجأ إليها موسى، لأنها خارج سيطرة فرعون، ولما بينه وبين شعيب من نسب وقرابة، فموسى من بني إسرائيل، وهم من أبناء يعقوب بن إسحاق بن إبراهيم، وشعيب أيضاً من أبناء مدين بن إبراهيم.

ونظراً لوقوع مدين في طريق الشام ومصر، ومصر ومكة؛ ولحكم ملوك مصر عليها زمناً؛ ثم مرور بني إسرائيل من طريقهم في أسفارهم وتجارتهم؛ فقد تأثرت مدين بلغة بني إسرائيل والفراعنة وعرفوها، كما تأثرت بلغة العرب المجاورين لهم والذين يمرون بديارهم في رحلات تجاراتهم وغير ذلك، فعرفوا لغة بني إسرائيل والفراعنة والعربية، وتكلموا بها فأصبحوا في عداد العرب المستعربة، مثل بني إسماعيل عليه السلام أيضاً»[٥]، فلما فر موسى إلى مدين وتكلم مع أهلها فإنه تكلم بلغة يفهمونه بها ويفهمهم.

وبناء على ما تقدم فإن الموطن الذي هاجر إليه موسى يقينا ليس في اليمن، وقد نص القرآن على أن موسى توجه تلقاء مدين، **ولا يوجد في اليمن مدينة اسمها مدين، وخاصة في المنطقة التي حددها البرنامج.**

---

(١) انظر: معجم البلدان، ياقوت الحموي ٥/ ٧٧، أطلس القرآن د. شوقي أبو خليل ص ٧٢.

(٢) انظر: البداية والنهاية لابن كثير ١/ ٢١٣ .

(٣) البلدان لليعقوبي أحمد بن إسحاق (ص: ١٦٨).

(٤) انظر: تفسير أبي السعود ٧/ ٨ .

(٥) ينظر: التحرير والتنوير محمد بن الطاهر عاشور، القسم الثاني من ٨ / ٢٤٠ .

ثم لو سلمنا جدلا وجود موسى في جنوب مصر، ومنها فر إلى اليمن؛ فلا بد أن تكون لليهودية وجود في الحبشة وآريتيرية؛ والحقيقة المثبتة أن اليهودية ليس لها وجود في تاريخ أريتيريا(١).

إن استنتاج البرنامج حول هجرة موسى نحو الجنوب تخالف القرآن في بيان ما حصل لموسى عند عودته من مدين ومعه زوجه، قال تعالى: ﴿فَلَمَّا قَضَىٰ مُوسَى ٱلْأَجَلَ وَسَارَ بِأَهْلِهِۦٓ ءَانَسَ مِن جَانِبِ ٱلطُّورِ نَارًا قَالَ لِأَهْلِهِ ٱمْكُثُوٓا۟ إِنِّىٓ ءَانَسْتُ نَارًا لَّعَلِّىٓ ءَاتِيكُم مِّنْهَا بِخَبَرٍ أَوْ جَذْوَةٍ مِّنَ ٱلنَّارِ لَعَلَّكُمْ تَصْطَلُونَ ﴿٢٩﴾ فَلَمَّآ أَتَىٰهَا نُودِىَ مِن شَـٰطِئِ ٱلْوَادِ ٱلْأَيْمَنِ فِى ٱلْبُقْعَةِ ٱلْمُبَـٰرَكَةِ مِنَ ٱلشَّجَرَةِ أَن يَـٰمُوسَىٰٓ إِنِّىٓ أَنَا ٱللَّهُ رَبُّ ٱلْعَـٰلَمِينَ﴾ [القصص: ٢٩، ٣٠]، والطور: جبل بين مدين ومصر، وهو معدود في أرض الشام، وفيه نادى الله موسى وكلمه تكليما(٢)، يقول ابن كثير: «أي: من جانب الوادي مما يلي الجبل عن يمينه من ناحية الغرب، كما قال تعالى: ﴿وَمَا كُنتَ بِجَانِبِ ٱلْغَرْبِىِّ إِذْ قَضَيْنَآ إِلَىٰ مُوسَى ٱلْأَمْرَ وَمَا كُنتَ مِنَ ٱلشَّـٰهِدِينَ﴾ [القصص: ٤٤]، فهذا مما يرشد إلى أن موسى قصد النار إلى جهة القبلة، والجبل الغربي عن يمينه، والنار وجدها تضطرم في شجرة خضراء في لحف الجبل مما يلي الوادي» (٣)، يقول ابن عاشور: «فيكون الأيمن يعني الغربي للجبل، أي جهة مغرب الشمس من الطور» (٤)؛ فلو كان في الجنوب متجهاً إلى الشمال لاختلف السمت، لأن الغرب سيكون على اليسار فأي تحديد للمكان أدق من هذا؛ إذ ذكره بالبقعة والجهة.

وبهذا تسقط ركيزة البرنامج الأساسية التي بنى عليها النتائج والتحليلات، وبذلك يتبين لنا الخلط العجيب الذي قام به البرنامج في السبر التاريخي.

---

(١) انظر أوضاع اللغة العربية في القرن الأفريقي صـ٤٥ .

(٢) انظر: اللباب لابن عادل ١٣/ ٨١، ومعجم البلدان لياقوت الحموي ٣/ ٢٠٠، و ٤/ ٤٧

(٣) تفسير ابن كثير (٦/ ٢٣٤)، وانظر اللباب لابن عادل ١٥/ ٢٤٩.

(٤) التحرير والتنوير ٢٠/ ١١٢.

ثانيًا: حول اعتماد البرنامج على أن هجرة الإنسان إلى شبه الجزيرة العربية كانت عن طريق الجنوب من إفريقيا، ثم ربط البرنامج ذلك باكتشاف أقدم جمجمة في الحبشة!.

ولعل البرنامج استند في تحليلاته هذه على فرضية قدمتها الكاتبة الأمريكية «*drusilla dunjee Houston*»، دروسيلا هيوستن[١] في كتابها المشهور «إثيوبيون رائعون من إمبراطورية كوشيت القديمة» نشرته (١٩٢٦)، «وتعتبر تحليلاتها من أضعف الاحتمالات في هجرة الإنسان، وأبعدها عن الواقع العلمي، إذ حاولت فيه إثبات أن الموطن الأصلي للعرب هو أفريقيا، ثم هاجروا إلى الجزيرة العربية، ويُذكر أن التوراة أشارت في أماكن متفرقة من سفر إرميا أن الساميين من سكان البوادي، وكان اسمهم مرتبط بالصحراء والجمال، وهم في جنوب الجزيرة، أي اليمن ، وكانوا كالكوشيين؛ وأسمتهم دروسيلا هيوستن: بـ الكوشيون العرب»[٢] ويستند البرنامج على الأخذ بالاعتبار الجمجمة التي تم اكتشافها في إفريقيا وأن عمرها – كما يزعمون – ملايين السنوات[٣].

إذن البرنامج لا يعتمد على أرضية صلبة من المعلومات العلمية في حلقته هذه، وإنما تحليلات واستنتاجات يحاول الربط بينها بتصور يحسبه منطقيًا فقط، دون

---

(١) مؤرخة وصحفية، أصولها أفريقية، ولدت في فرجينيا الغربية عام ١٨٧٦م، والدها جون ويليام قس أمريكي، أرادت في كتابها عن الكوشيين إثبات تفوق العرق الأسود، وأن الحضارة نشأت من أثيوبيا، ماتت بالسل عام ١٩٤١م.

انظر ترجمتها في ويكبيديا على الرابط: https://en.wikipedia.org/wiki/Drusilla_Dunjee_Houston

(٢) انظر: أوضاع اللغة العربية في القرن الأفريقي صـ ٤٦.

(٣) انظر هذه الدراسة منشورة على الرابط:
https://pubs.geoscienceworld.org/gsa/geology/article-abstract/43/4/295/131827/alluvial-fan-records-from-southeast-arabia-reveal?redirectedFrom=fulltext

وانظر المقال: «اكتشاف جمجمة لأسلاف الإنسان عمرها نحو أربعة ملايين عام»:
https://p.dw.com/p/3OheJ

إثباتات علمية، فكم من جمجمة اكتشفت وقام الإعلام بالإعلان عنها مع هالة من التعظيم والقطع بأنها الأقدم، ثم يغيب بريقها مع النتائج الباهتة المحتفة بالعنصرية لإثبات تفوق عرق، أو لإثبات نظريةٍ ثبت فشلها؛ ولكن تصر عليها مراكز أبحاث لفرضها على الفكر البشري(١)، ولا أدري لم يقحم البرنامج خبر تلك الجمجمة المفردة في قضية تاريخية تتعلق بأمم وتقرير هجرة شعوب؛ ولم تظهر نتائجها النهائية؟، هل يريدون تثبيت نظرية التطور، أم أنهم يريدون الإغراب؟!.

ثالثًا: حول تغيير مسار طريق يوسف عليه السلام بعدما غيروا مسار طريق موسى عليه السلام.

وهنا قضيتان: أحدهما الدراهم، وأنها كانت تستخدم فقط في جنوب الجزيرة، وأما الثانية فزعمهم في البرنامج استحالة إطلاق أهل مصر على أهل الشام لفظ «البدو»، وأنها كانت تطلق على جنوب الجزيرة، وعليه فإن معنى قوله تعالى: ﴿وَجَآءَ بِكُم مِّنَ ٱلۡبَدۡوِ﴾[يوسف:١٠٠]برأيهم: أي جاء بكم من اليمن!.

أما ما يتعلق بالدراهم واستدلالهم على مرادهم بأن الدراهم كانت مستخدمة في جنوب الجزيرة، فإنه لا توجد دراسة تاريخية أو أثرية تثبت حصر استخدام الدراهم في منطقة معينة دون غيرها، فالدراهم كانت تستخدم على نطاق واسع امتدادا من اليونان إلى الهند قبل ٦٥٠ سنة ق.م على أقل تقدير(٢)، بل يرجع بعض

---

(١) حبذا ينظر للتوسع حول اكتشافات الجماجم ونتائجها وتاريخها: علم الجماجم *Craniometry*: إيهاب عبد الرحيم
https://www.marefa.org/%D8%B9%D9%84%D9%85_%D8%A7%D9%84%D8%AC%D9%85%D8%A7%D8%AC%D9%85

سقوط الداروينية – أصل الإنسان ، ترجمة عمار شرقية على الرابط:
https://memas.wordpress.com/%D8%B3%D9%82%D9%88%D8%B7-%D8%A7%D9%84%D8%AF%D8%A7%D8%B1%D9%88%D9%8A%D9%86%D9%8A%D8%A9-%D8%A3%D8%B5%D9%84-%D8%A7%D9%84%D8%A5%D9%86%D8%B3%D8%A7%D9%86/

(٢) انظر في ذلك للتوسع: سك العملات على موقع: http://snible.org/coins/hn/aegina.html ، وتاريخ النقود المعدنية:

الباحثين أن الصينيين استخدموا الدراهم قبل ميلاد المسيح بألفي عام[١]، أي قبل موسى عليه السلام، وقبل عصر الهيكسوس الذي عاش فيه يوسف عليه السلام .

إن ذكر الدراهم في قصة يوسف سبق علمي تاريخي، وهي نصٌ على أن الدراهم كانت مستخدمة في بلاد الشام ومصر وهي جغرافية حياة يوسف عليه السلام[٢]؛ وكانوا يستخدمون الدراهم التي تستخدمها الدول المجاورة لهم ممن يصكونها: كفارس واليونان والروم؛ حسب نفوذ تلك الدول فيها، أو حسب امتداد التجارة بينهم، وعليه فإن حصر استخدام الدراهم في منطقة اليمن والحبشة دون أخرى غير صحيح ولا دليل عليه، إنما هي مجرد تصورات لا أصل لها؛ وتخالف الوقائع التاريخية والأثرية، والبرنامج لم يقدم دليلا علمياً أو أثريا على تصوراته التي يسقطها على قصة يوسف في القرآن الكريم.

والحقيقة القرآنية والتاريخية والجغرافية هي: إن قصة يوسف حصلت ما بين بلاد الشام ومصر، في زمن الهيكسوس الذين كانوا يحكمون مصر، وكان يوسف عليه السلام في عهدهم، والذي اشتراه من مصر كان والياً عليها، فيعقوب وأولاده كانوا يسكنون أرض العربات من بلاد الخليل[٣]، أي من بلاد الشام، وهي أرض بيت المقدس، ثم بيع في عاصمة الهيكسوس أفاريس وهي الآن باسم «صان

---

https://ar.wikipedia.org/wiki/%D8%AA%D8%A7%D8%B1%D9%8A%D8%AE_%D8%A7%D9%84%D9%86%D9%82%D9%88%D8%AF_%D8%A7%D9%84%D9%85%D8%B9%D8%AF%D9%86%D9%8A%D8%A9

(١) انظر: تاريخ النقود الإسلامية للمازنداراني صـ ١٣، والمقال العلمي:
When – and why – did people first start using money?
https://theconversation.com/when-and-why-did-people-first-start-using-money-78887

و نفس المقال منشور ومترجم على موقع: https://kantakji.com/5664/

(٢) ينظر جغرافية المنطقة التي عاش فيها يوسف عليه السلام: موسوعة مصر القديمة ٤/ ٥٨، فما بعد، وأطلس القرآن الكريم الخريطة صـ ٦٨.

(٣) البداية والنهاية، لابن كثير (١/ ٢٥١)

الحجـر» قرب بحيرة المنزلة حاليـاً[١]، وقد حكم الهيكسـوس على الدلتا ومصر الوسطى والوجه البحري ما بين ١٧٣٠، و١٥٨٠ ق.م تقريبـاً[٢]، ومن المعلوم أن الهكسوس أتوا إلى مصر من أواسط آسيا وشرق آسيا[٣].

يقول ابن عاشور: «ومدينة مصر هي: منفيس، ويقال: منف، وهي قاعدة مصر السـفلى التي يحكمها قبائل من الكنعانيين عرفوا عند القبط باسـم (الهيكسوس) أي الرعاة، وكانت مصر العليا المعروفة اليوم بالصعيد تحت حكم فراعنة القبط، وكانـت مدينتها (ثيبة- أو- طيبة)، وهي اليوم خراب وموضعها يسـمى الأقصر، جمـع قصر، لأن بها أطـلال القصور القديمة، أي الهيـاكل، وكانت حكومة مصر العليا أيامئذ مستضعفة لغلبة الكنعانيين على معظم القطر وأجوده»[٤]، وتقع مدينة منف في الخارطة الحديثة في محافظة الجيزة قرب مدينة البدرشـين، على بعد ١٩ كم جنوب القاهرة[٥].

ومما تقدم فإن منطقة حكم الهكسوس كانت تشمل منطقة الصعيد إلى الدلتا باتجاه الشـرق إلى البحر الأحمر، وليسـت جنوب مصر أو شمال السودان، وأن يوسف كان جنوب القاهرة حاليـاً في الأقصر، وفي هذه المنطقة اشتراه والي مصر حينئذ.

---

(١) انظر: أطلس القرآن الكريم، د. شوقي أبو خليل صـ ٦٧

(٢) انظر موسـوعة مصر القديمة، عصر الهيكسـوس وتأسيس الإمبراطورية، سـليم حسن ٤/ ٥٤، و ٤/ ٨٠ - ٨١.

(٣) المصدر السابق، وانظر للتوسع: بحث عن الهكسوس على الرابط:
https://www.civgrds.com/hyksos-search.html

وعلى ويكيبيديا:
https://ar.wikipedia.org/wiki/%D8%A7%D9%84%D9%87%D9%83%D8%B3%D9%88%D8%B3

(٤) التحرير والتنوير ١٢/ ٢٤٥

(٥) انظر التعريف بالمنطقة ويكيبيديا: https://ar.wikipedia.org/wiki/%D9%85%D9%86%D9%81

وبناء على ما تقدم نؤكد على أمرين:

• إن مساحة استخدام الدراهم أو العملات النقدية عموما لم تكن محصورة في مجتمع جنوبي أو شمالي، وإنما كانت واسعة من اليونان إلى الصين، ويدخل فيها وسط آسيا وجنوب إفريقيا كونها معبراً تجاريـاً، واستخدام الدرهم في جنوب الجزيرة أو جنوب إفريقيا لا دلالة فيه على أن يوسف كان فيها، ثم انتقل منها إلى جنوب مصر كما يزعم البرنامج، بل كان الدرهم موجودا ومستخدما أيضـاً في بلاد الشام وشمال الجزيرة نظرا لمكانتها التجارية والتاريخية أيضـاً.

• في قوله تعالى: ﴿وَجَآءَ بِكُم مِّنَ ٱلۡبَدۡوِ﴾ [يوسف:١٠٠]، أي البادية، «وهي كلّ مكان يبدو ما يعنّ فيه، أي: يعرض، ويقال للمقيم بالبادية: بَادٍ، كقوله تعالى: ﴿سَوَآءً ٱلۡعَـٰكِفُ فِيهِ وَٱلۡبَادِ﴾ [الحج:٢٥]، ﴿لَوۡ أَنَّهُم بَادُونَ فِي ٱلۡأَعۡرَابِ﴾ [الأحزاب:٢٠]»[(١)].

ولا تنحصر أيضـاً مناطق البادية على الجنوب، بل كل منطقة من مناطق العالم يوجد بادية وحضر، وهذا من تكامل المجتمعات وأصولها، بل يذكر ابن خلدون (٨٠٨هـ) أن البادية أصل العمران، وهي أصل الحضر[(٢)]، فلا يخلوا مجتمع شرقي أو غربي من وجود أصله «البادية»، فمن الغريب إذن إعطاء حكم على حصر البادية في محلة دون أخرى دون دليل أو برهان.

رابعـاً: حول اعتبار أن اللغات كلها منحدرة من اللغة العربية، وأن اللغة العربية الجنوبية باصطلاحهم هي أم اللغات وأقدمها.

هذا الاستنتاج مبني على مقدمات تبين ضعفها وبعدها في تحليلنا السابق؛ يضاف إلى ذلك أن هذا الاستنتاج يحتاج إلى ما يؤيده في الرسومات والنقوشات

---

(١) المفردات في غريب القرآن، الحسين بن محمد الأصفهاني،(ص: ١١٣)

(٢) انظر: مقدمة ابن خلدون ١/ ١٥٢. وقد عقد ابن خلدون لذلك فصولا عدة في الحديث عن البدو وتوزعاتهم، ولعل القارئ يرجع إليها لمزيد الفائدة.

والدلائل التاريخية، فهم لم يستدلوا عليه من القرآن الكريم مباشرة؛ بل خرجوا بهذه النتيجة بناء على تصورات اعتبروها منطقية، ثم أسقطوها على حركة سيدنا موسى ويوسف عليهما السلام.

وبالعودة إلى استنتاج البرنامج حول أصل اللغات؛ يمكننا تقسيمه إلى قضيتين:

القضية الأولى: أن أصل اللغات مطلقاً: اللغة العربية، وهذه قضية مختلف فيها ولن ندخل في الحديث عنها لأنه خروج عن الموضوع، والبرنامج أصلا لم يقدم دليلا علمياً معتبراً حتى يرد عليه في ذلك.

القضية الثانية: أن أصل اللغة الحامية والسامية: أن اللغة العربية الجنوبية كما عبروا عنها في البرنامج استنادا إلى جغرافية انتشار اللغة العربية، وأن أهل الحبشة كانوا يفهمون لغة العرب، وقد سبق عرض كلامهم.

فنقول: «إن علماء اللغات يقسمون الحامية – السامية إلى ثلاث مجموعات هي: السامية والبربرية والكوشية ، وتنتسب إلى المجموعة السامية بعض لغات الهضبة الأثيوبية ومنها التغرينية، والتيغرية، والأمهرية، والغوراجية، أما المجموعة الحامية فتتبعها لغات البربر في دول المغرب العربي، والنوبة في شمال السودان، وجنوب مصر، والبجا في شرق السودان وإريتريا، والأوروموفي أثيوبيا، والدناكل في إثيوبيا وإريتريا وجيبوتي، ولغات الصوماليين في الصومال وجيبوتي وإثيوبيا»[1]

إن علاقة مناطق القرن الإفريقي الشرقي عموما والحبشة خصوصا قديمة، فأول من استوطن هضبة الحبشة هم الكوشيون الحاميون، أتوها من صوب وادي النيل السودان حالياً، وكانت لغتهم الأم: اللغة الجعزية، ثم تفرع عنها التيغرينية

(١) أوضاع اللغة العربية في القرن الأفريقي صـ ٤٣

والأمهرية، ثم تزاوجوا مع الساميين القادمين من اليمن وكانوا يسمون الأجاعز، ونشأ من تزاوجهم هذا الخليط، وكانت اللغة الأم وما تفرع منها مرتبطة بجنوب الجزيرة العربية ارتباطاً عضوياً، حتى أصبحت ملحقة باللغات السامية، ثم اندرست اللغة الجعزية، وسادت التيغرينية، وبقيت الأمهرية لتأثرها بالكوشية فلذلك كانت أبعد أخواتها عن العربية[1]، وهذا يعني أن العلاقة اللغوية بين جنوب الجزيرة العربية والجعزية وما يتفرع عنها هي علاقة تداخلية واندماجية، ولكن أثرت العربية في غيرها أكثر مما تتأثر العربية بهم، بخلاف ما يطرحه البرنامج من أن اللغة العربية الجنوبية أصل اللغات الكوشية، فهناك فرق بين التأثر باللغات الأخرى وبين اعتبار لغة أصل لغة جاءت بعدها.

ثم زاد التأثر مع مرور الزمن بازدياد الهجرات والتبادلات التجارية من جنوب الجزيرة العربية إلى الحبشة، حتى غدت نسيجاً أساسياً في التواصل اللغوي نظراً للحاجة التجارية والمصاهرة وغير ذلك، وزادت قاعدة اللغة العربية في عصر الرسالة عند هجرة المسلمين إلى الحبشة، بل كانت اللغة العربية معروفة في بلاط الحكم الحبشي، فيذكر السهيلي (ت: ٥٨١هـ) أن النجاشي لما بلغه انتصار المسلمين في بدر؛ أعلم بهذا النصر المسلمين الذين بالحبشة، وذكر لهم أن المعركة كانت في واد اسمه بدر كثير الأراك كان يرعى فيه الغنم على سيده من بني ضمرة، ثم يقول السهيلي: «فدل هذا الخبر على طول مكثه في بلاد العرب، فمن هنا- والله أعلم- تعلّم من لسان العرب ما فهم به سورة مريم حين تليت عليه، حتى بكى، وأخضل لحيته»[2]، أي أن النجاشي تعلم العربية من شمال الجزيرة العربية وليس جنوبها.

---

(١) انظر: المصدر السابق صـ ٤٥

(٢) الروض الأنف للسهيلي (٣/ ١٥٧).

ومما يدل على أن العلاقة اللغوية كانت تبادلية: أن لسان الحبشة كان له استخدام في لسان العرب بالدلالة المستخدمة بلسان الحبشة، ومن ذلك على سبيل المثال: كلمة الهرج، فقد وردت في صحيح البخاري[١]، وجاء في الرواية أنها بمعنى القتل بلسان الحبشة، يقول ابن حجر: «وأخطأ من قال: نسبة تفسير الهرج بالقتل للسان الحبشة وهمٌ من بعض الرواة؛ وإلا فهي عربية صحيحة، ووجه الخطأ أنها لا تستعمل في اللغة العربية بمعنى القتل إلا على طريق المجاز لكون الاختلاط مع الاختلاف يفضي كثيرا إلى القتل، وكثيرا ما يسمى الشيء باسم ما يؤول إليه واستعمالها في القتل بطريق الحقيقة هو بلسان الحبش، وكيف يدعى على مثل أبي موسى الأشعري الوهم في تفسير لفظة لغوية؟!، بل الصواب معه، واستعمال العرب الهرج بمعنى القتل لا يمنع كونها لغة الحبشة وإن ورد استعمالها في الاختلاط والاختلاف» [٢]،فمن هذا المثال نجد أن تأثر الحبشة بلغة العرب لم يكن باستخدام دلالات اللفظة العربية الوضعية والمجازية؛ بل بالاقتصار على دلالة منها يحتاجونها أو لعله ليس في لغتهم من الألفاظ ما يعبر عنها، وقل مثل ذلك فيما نسب إلى لسان الحبشة من االألفاظ العربية مثل: الأواه، في لغة الحبشة بمعنى الرحيم[٣]، وسناه بمعنى الحسنة بلسان الحبشة[٤]، وكفلين بمعنى عدلين بلسان الحبشة[٥]، ونشأ بمعنى قام في لغة الحبشة[٦]، ولكن مع ذلك كان للحبشة لغتها الأم التي تتكلم بها ولا تفهمها العرب، جاء في حديث

(١) البخاري كتاب العلم، باب من أجاب الفتيا بإشارة اليد أو الرأس رقم (٨٥) ١/ ٤٤.
(٢) فتح الباري لابن حجر (١٣/ ١٨)
(٣) انظر فتح الباري لابن حجر ١/ ٨٢.
(٤) فتح الباري ١/ ١٣٤.
(٥) فتح الباري ١/ ١٨٠.
(٦) وقد ورد هذا عن ابن عباس وسعيد ابن جبير رضي الله عنهما، انظر فتح الباري ٣/ ٢٣.

أنس رضي الله عنه: «أَنَّ الْحَبَشَةَ كَانُوا يَزْفِنُونَ بَيْنَ يَدَيْ رَسُولِ اللهِ ﷺ، وَيَتَكَلَّمُونَ بِكَلَامٍ لَا يَفْهَمُهُ، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «مَا يَقُولُونَ» قَالُوا مُحَمَّدٌ عبد صالح [1]، وهذا يعني أنهم تكلموا بلغتهم الأم، ولذلك لم يعرفها النبي صلى الله عليه وسلم، حتى سأل عنها وأجيب.

فكل ما سبق يقودنا للقول بأن منشأ اللغات مختلف فيه، وأن التأثر كان واضحا من خلال الاستخدام، بل كان للاستخدام الحبشي أثر في الدلالة المقيدة بهم بخلاف الاستخدام العربي الذي كان من سماته التوسع في الدلالة والتطوير، وعليه: فإن استنتاج البرنامج غير دقيق علمياً، ولا يستند لأدلة معتبرة، خاصة أن تقسيمه للغة العربية إلى لغة جنوبية ولغة شمالية مخالف لأصول تاريخ اللغة العربية وتوزيع لهجات العرب، والتي راعاها القرآن فيما بعد بنزول الأحرف السبعة.

خامساً: استوقفتني جملتان في حلقة البرنامج، وتفكرت فيهما كثيراً، الأولى، قولهم: «**وهذا يعني أن بني إسرائيل هم في الأصل بدو عرب من جنوب شبه الجزيرة العربية**».

والجملة الثانية قولهم: «ومع ذلك فإن **هناك مفهوما خاطئا شائعاً أن يوسف ووالديه وأخوته؛ قدموا من الشام إلى مصر، وذلك كله لإثبات أن أصول بني إسرائيل من الشام**».

وتقدم في الفقرات السابقة بيان تهافت هذه الادعاءات، إلا أنني تساءلت عن الرسالة التي يحملها البرنامج في هاتين الجملتين، ما الفائدة من إثبات أصول بني إسرائيل في الشام أو مصر أو اليمن؟!.

---

(١) الحديث عند ابن حبان في صحيحه ١٣/ ١٧٩ رقم (٥٨٧٠)، وأحمد في المسند ٢٠/ ١٧، برقم (١٢٥٤٠)، وقد صحح الشيخ شعيب إسناده في تعليقه على تحقيق المسند، ويزفنون بمعنى يلعبون، انظر: الفائق في غريب الحديث لزمخشري ٢/ ١١٢.

لقد أرجعتني هاتان الجملتان إلى كتابين مهمين في هذا الموضوع، أحدهما كتاب «هل نزلت التوراة في جزيرة العرب»، والكتاب الثاني: «خفايا التوراة وأسرار شعب إسرائيل» كلاهما للدكتور كمال صليبي (١٩٢٩ - ٢٠١١م)[١]، وهذان الكتابان أحدثا ضجة كبيرة في علم اللغات السامية والتاريخ معًا؛ نظرا للنتائج الصادمة المخالفة والمستخرجة من تحليل أسفار التوراة، ومن ذلك أن بني إسرائيل من العرب البائدة الذين عاشوا في جنوب جزيرة العرب، وشاركوا العرب في جاهليتهم[٢]، وكانت منطقة عسير وجنوب اليمن من مستعمرات المصريين القدماء.

فقد قام الدكتور الصليبي على دراسة وتحليل نصوص التوراة في العهد القديم، واعتمد في دراسته التحليلية أساسًا على أمرين: النصوص العبرية الأصلية، والجغرافية التي لا تتغير، ووجد أن الأماكن التي يذكرها العهد القديم في التوراة لا وجود لها في بلاد الشام، وإنما هي في جنوب غرب الجزيرة العربية، وأن الأرض الموعودة كما يحددها التوراة هي من جنوب جيزان حتى الطائف بل تمتد حسب توزيع القبائل والأماكن المذكورة في التوراة حتى وسط الصحراء

---

(١) الدكتور كمال سليمان الصليبي مؤرخ أكاديمي ولد في لبنان في قرية بحمدون عام ١٩٢٩، درزي، درس في الجامعة الأمريكية في بيروت ثم لندن، وأشرف على رسالته الماجستير برنارد لويس، عمل مدرسًا في الجامعة الأمريكية في بيروت من عام ١٩٥٤ حتى عام ١٩٩٤م، عهد إليه تأسيس وإدارة المعهد الملكي للدراسات الدينية في الأردن، توفي عام ٢٠١١، انظر ترجمته على ويكيبديا على الرابط:
https://ar.wikipedia.org/wiki/%D9%83%D9%85%D8%A7%D9%84_%D8%A7%D9%84%D8%B5%D9%84%D9%8A%D8%A8%D9%8A

(٢) انظر: كمال الصليبي مؤرخ زلزل المعتقدات الراكدة، للكاتب إبراهيم الجبين، على الرابط:
https://alarab.co.uk/%D9%83%D9%85%D8%A7%D9%84-%D8%A7%D9%84%D8%B5%D9%84%D9%8A%D8%A8%D9%8A-%D9%85%D8%A4%D8%B1%D8%AE-%D8%B2%D9%84%D8%B2%D9%84-%D8%A7%D9%84%D9%85%D8-%B9%D8%AA%D9%82%D8%AF%D8%A7%D8%AA-%D8%A7%D9%84%D8%B1%D8%A7%D9%83%D8%AF%D8%A9

في الجزيرة العربية شرقًا، وغربا نحو سواحل البحر الأحمر(١)، ثم يؤكد هذه الخارطة في دراسته لجغرافية قصة يوسف عليه السلام في التوراة أيضًا، فبين فيها أن أرض كنعان كانت في تهامة وعسير بحسب التوراة، ثم باع الأخوة يوسفَ للقافلة، فأخذته القافلة معهم من مصرايم «المصرمة» قرب بيشة، إلى جنوب اليمن «الجعدية»، واحتملوا من موارد هذه المنطقة لأن المصريين القدماء كانوا يهتمون بها لتأمين مواردهم، كل ذلك حسب سفر التكوين(٢)، كما يبين الصليبي أن يوسف وأخوته كانوا من بدو تهامة يرعون الغنم(٣)، ثم يؤكد في قصة موسى أنه كان في مصرايم في جنوب الجزيرة في عسير في المصرمة(٤)، ثم لما جاء إلى ذكر هروب موسى من الملك حسب رواية التوراة التي يحللها؛ ذكر أن موسى التاريخي هرب إلى «مديان»، «وهي اليوم قرية المدينة بوادي تثليث على بعد ١٠٠كم من المصرمة وخميس مشيط، وهناك تزوج موسى من بنت رجل اسمه رَعُوئيل، وكان كاهن مديان، واسمه في التوراة يثرون»(٥).

ولسنا بصدد مناقشة تحليلات الدكتور الصليبي لنصوص التوراة وأسفارها(٦)، ذلك شأن لا يعنينا في دراستنا هذه، لأن نقضها سهل بالإثباتات الأثرية والشواهد

---

(١) انظر: جاءت التوراة من جزيرة العرب، د. كمال الصليبي صـ ٢٥٩ حتى صـ ٢٦٩.

(٢) انظر: اليهودية وأسرار شعب إسرائيل د. كمال الصليبي صـ١٥٩، ١٦٠، وللتوسع انظر من صـ ١٥٣ حتى ١٨٣ ففيها العجائب من تحليلاته لنصوص التوراة.

(٣) المصدر السابق صـ ١٦٣.

(٤) المصدر السابق صـ ٢١٣، و صـ ٢١٨.

(٥) المصدر السابق صـ ٢١٨.

(٦) فقد فند السيد «فكري آل هير» هذه النظرية وما تبعها من كتابات تتمحور حولها، في كتابه «جغرافية التوراة وحاخاماتها العرب، ويذكر السيد فكري في مقدمة كتابه صـ ١٠، ١١ باحثين حددوا جغرافية التوراة في اليمن حصرا كالكاتب الفلسطيني أحمد الدبش، وفرج الله صالح الديب وفاضل الربيعي، ويشرح آراءهم.

التاريخيـة الدالة علـى خلاف ذلك، مع التأكيد على أنـه -وإلى الآن- لا إثباتات أثرية ولا تاريخية على نتائج دراسات الصليبي.

ولكـن ما يعنينا هو مـدى التوافق في نتائج التحليلات التـي يقدمها البرنامج، مع نتائج تحليلات الصليبي للتوراة، علمـاً أن طريقة التحليل التي قام بها الدكتور الصليبي قائمة على ركيزتين: دلالات اللغة العبرية وهي لغة التوراة، والجغرافيا، أمـا البرنامـج «لا تعارض»؛ فلـم يقم على أي ركيـزة علمية؛ بل علـى تصورات تخيلية وإشاعات شعبية، أسقطها عنوة على الآيات القرآنية.

فهـل يريـد القائمون علـى هذا البرنامـج تطبيق نظريـة كمـال الصليبي على القرآن؟!، ..هو أقامها على التوراة، وهم يريدون تطبيقها على القرآن؟.

النموذج الثاني: التقويم الكوني والأيام الستة:

سـنتعرض في هـذا النموذج إلى تفسـير الأيام السـتة التي ذكرهـا البرنامج في حلقته تحت عنوان مثير: «فى أخطر تصريحاتها: المذيعة البريطانية كلير فوريستير ..النبى محمد كان هنا على الأرض منذ لحظات قليلة..»[1].

تتلخـص فكرة الحلقة في أننا ما نزال نعيش في داخل الأيام السـتة التي ذكرها القـرآن للخلق، وبالتحديد نحن في آخر لحظات الأيام السـتة المضغوطة زمانيـاً، ويعـبر البرنامج عن ذلـك بتقويم القرآن الكوني، وهو التقويم الذي سـبق التقويم الكوني الي وضعه «كارل سـاغان»، ولكن على نسـق الفكرة المبنية على الضغط الزماني.

بداية: يعرض البرنامج فكرة الفيزيائي كارل ساغان (١٩٣٤ - ١٩٩٦م) الذي قدم «التقويم الكوني» وضغط عمر الكون وجعله في سنة واحدة كاملة، لتصور نشأة

(١) نشر على موقع البرنامج بتاريخ ٩/ ٥/ ٢٠٢٠ على الرابط:
https://www.youtube.com/watch?v=s11CmupiEmA

الكـون وتطوره عن طريق معيار زمني يفهمه الإنسـان ويتصوره، واعتبر البرنامج أن هذا التقويم الكوني الذي وضعه كارل سـاعد في فهم مجموعتين من الآيات في القرآن الكريم التي تتكلم عن خلق الكون:

المجموعـة الأولـى: ﴿إِنَّ رَبَّكُمُ ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ﴾ [الأعـراف:٥٤]، المجموعـة الثانيـة: ﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ﴾ [السجدة:٤]

واعتبر البرنامج أن الأيام السـتة المذكورة في هذه الآيات هي التقويم الكوني للكون في القرآن الكريم منذ أكثر من ١٤٠٠ سـنة قبل كارل سـاغان، ثم شـرحوا ذلـك بقولهـم: «يوجد تشـابه كبير بيـن التقويم الكـوني للقرآن الكريـم والتقويم الكوني لكارل ساغان»، وذكروا أوجه الشبه على النحو الآتي:

أولاً: من خلال هذا التقويم الكوني يسـتطيع العقل أن يتصور مسـافات زمنية حدثت بمعيار زمني غير معروف للإنسان (أثناء نشأة الكون) عن طريق استخدام معيار زمنه يفهمه الإنسـان (معيار زمننا الحالي)، ولهذا السبب قدم كارل ساغان تقويمـه الكوني بمعيار زمننـا الحالي، وأيضـًا قدم القـرآن التقويم الكوني وضغط عمر الكون في ستة أيام فقط (بمعيار زمننا الحالي).

ثانيـًا: يخبرنـا التقويـم الكوني لكارل سـاغان بـأن الأرض تكونـت في نهاية أغسـطس، أي في الشـهر الثامن من أصل ١٢ شـهراً، وهو بالضبط في اليوم الذي كان فيه الكون في ثلثي عمره؛ ويخبرنا التقويم الكوني في القرآن الكريم أن الأرض خلقـت في اليـوم الرابع مـن أصل ٦ أيـام، أي عندما كان الكـون بالضبط في ثلثي عمـره، وهذا مذكور في سـورة فصلت مـن الآية ١٠، إلى الآيـة ١٢، ﴿وَجَعَلَ فِيهَا رَوَٰسِىَ مِن فَوْقِهَا وَبَٰرَكَ فِيهَا وَقَدَّرَ فِيهَآ أَقْوَٰتَهَا فِىٓ أَرْبَعَةِ أَيَّامٍ سَوَآءً لِّلسَّآئِلِينَ ﴿١٠﴾ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰٓ إِلَى ٱلسَّمَآءِ وَهِىَ دُخَانٌ فَقَالَ لَهَا وَلِلْأَرْضِ ٱئْتِيَا طَوْعًا أَوْ كَرْهًا قَالَتَآ أَتَيْنَا طَآئِعِينَ ﴿١١﴾ فَقَضَىٰهُنَّ سَبْعَ

سَمَٰوَاتٍ فِي يَوْمَيْنِ وَأَوْحَىٰ فِي كُلِّ سَمَآءٍ أَمْرَهَا ۚ وَزَيَّنَّا ٱلسَّمَآءَ ٱلدُّنْيَا بِمَصَٰبِيحَ وَحِفْظًا ۚ ذَٰلِكَ تَقْدِيرُ ٱلْعَزِيزِ ٱلْعَلِيمِ ﴾ [فصلت: ١٠- ١٢]

ثالثاً: عندما قام كارل ساغان بنشر التقويم الكوني في عام ١٩٩٦م، كانت مدته سنة واحدة، ولكن هذا لا يعني أن الكون سينتهي في آخر ثانية من تلك السنة (سنة التقويم الكوني)، ولكن يستمر المعيار الزمني (سنة التقويم الكوني) في الانضغاط لكي يستوعب كل الأحداث والزيادة المستقبلية المستمرة في عمر الكون.

أي: إن كل ما يحدث الآن وما سيحدث في المستقبل هو في الثانية الأخيرة من التقويم الكوني لكارل ساغان حسب شرح البرنامج، ثم يقول البرنامج:

«كان كارل ساغان ذكي جداً يستمر الزمن ويجري لكن التقويم الكوني يبقى ثابتاً على سنة واحدة (سنة التقويم الكوني)، لكن كارل ساغان ليس وحده، لأن القرآن الكريم سبقه في ذلك، عندما تقرأ القرآن الكريم ستعرف أن التقويم الكوني الذي هو ستة أيام في القرآن الكريم، لا يعني أن الكون سينتهي في الثانية الأخيرة من اليوم السادس، ولكن يستمر المعيار الزمني (ستة أيام) في الانضغاط لكي يستوعب كل الأحداث والزيادة المستقبلية المستمرة في عمر الكون.

عندما يقول القرآن: ﴿إِنَّ رَبَّكُمُ ٱللَّهُ ٱلَّذِي خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ﴾ [الأعراف: ٥٤]، و﴿ ٱللَّهُ ٱلَّذِي خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ﴾ [السجدة:٤] فهذا يعني أن ما بين السماوات والأرض لم ينته بعد، ففي كل لحظة هناك شيء يخلق بين السماوات والأرض، والآن أقول: كم هو ذكي القرآن الكريم، يستمر الزمن ويجري لكن التقويم الكوني في القرآن يبقى ثابتاً على ٦ أيام فقط»، انتهى .

تمهيد في بيان فكرة التقويم الكوني:

لا بد قبل التحليل العلمي والنقد من بيان فكرة التقويم الكوني من كتاب كارل ساغان لأن ذلك متعلق بالنقد لعرضهم.

ونؤكد بداية أن «كارل ساغان»[١] في كتابه « *the dragon of edn*» ثم ترجم الكتاب بعنوان: «تنينات عدن تأملات عن تطور ذكاء الإنسان»[٢]، لم يقدم نظرية علمية أو فرضية علمية، وإنما قدم فكرة تقريبية لتبسيط فهم تطور الكون، فهو يقول في مقدمة كتابه: «فإني أقدم أفكاري وبي درجة كبيرة من الخوف والتردد وأنا أعلم أن الكثير منها قابل للإثبات أو الرفض بالتجربة العلمية»[٣]، وتقوم فكرة التقويم الكوني عند كارل على ضغط (١٥) بليون سنة التي هي عمر الكون في سنة واحدة بتاريخنا، وهكذا يصبح كل بليون عام من تاريخ الكون مقابل ٢٤ يوما من سنتنا الكونية، وكل ثانية من سنتنا الكونية تعادل ٤٧٥ سنة من سنتنا الكونية[٤].

إذن فإنه حدد المعيار الزمني لكل ثانية، وعلى أساسه قسم الجداول الثلاثة التي أوردها في كتابه؛ يذكر في الجدول الأول منها ما قبل ديسمبر والجدول الثاني

---

(١) كارل إدوارد ساغان عالم فلكي فيزيائي أمريكي يهودي، له الكثير من المؤلفات حول الجينات والفلك وغيرها، كان من حاملي لواء عدم تعارض الدين مع العلم، وكان يقدم أفكاره حول نظرية التطور في برنامجه *cosmos* وفي كتابه تنينات عدن، وهو ممن يرى وجود أجسام غريبة قادمة من الكون، وصاحب نظرية إمكانية وجود عالم صالح للسكن في هذا الكون، وكان يقترح تحويل كوكب الزهرة كوكبا صالحا للحياة، ومن دعاة المحافظة على البيئة وضد الحروب انظر الرابط:
https://www.arageek.com/bio/carl-saganhttps://ar.wikipedia.org/wiki/%D9%83%D8%A7%D8%B1%D9%84_%D8%B3%D8%A7%D8%BA%D8%A7%D9%86

(٢) تنينات عدن، كارل ساغان، مبحث التقويم الكوني صـ ٢٣

(٣) تنينات عدن صـ ٢١. وفي نفس الصفحة يعتبر كارل أن فكرة شارلز داروين وألفرد رسل والاس في التطور والانتقاء الطبيعي أهم مبادئ البيولوجيا، فمن خلال الانتقاء الطبيعي ظهرت مخلوقات أكثر توافقا وانسجاما مع الطبيعة، وأما عن معنى عنوان كتابه فيقول صـ ٢٢: «وأنا لا أستعمل الأسطورة بمعناها الشهير أحيانا، وهي أنها ضد الحقيقة، ولكني أستعملها بمعناها القديم، باعتبارها مثالا لموضوع لا يمكن شرحه بوسيلة أخرى، بل إن عنوان الكتاب نفسه عبارة عن حديث عن أسطورة» ، ويبدو أن كارل من المؤمنين بالتطور صدفة إذ يقول صـ ٣٣ «وتتسبب بعض الطفرات بالصدفة في خلق خامة للتطور البيولوجي».

(٤) تنينات عدن صـ ٢٤ فما بعد.

مـا حصل في أول ديسـمبر والجـدول الثالث ما حصـل في ٣١ ديسـمبر بالدقائق والثـواني، يعتبر كارل أن بداية الكون بالانفجار العظيم كان في أول يناير، ويتنتهي الجدول بـ نوفمبر حيث ظهرت في منتصفه الثاني أحياء لخلاياها نواة.

أما الجدول الثاني الذي يبدأ بالأول من ديسـمبر، فاليوم الأول منه بدأ بظهور الأوكسجين، واليوم الأخير ٣١ ديسمبر ظهور الإنسان، أما اليوم الأخير الذي بدأ بظهور الإنسان فقد اعتبر كارل أننا في الثانية الأخيرة من عمر الكون، وهي ظهور العلم التجريبي[١].

التحليل العلمي والنقد:

أولا: قولهـم في البرنامج:» يخبرنا التقويم الكوني لكارل سـاغان بأن الأرض تكونت في نهاية أغسـطس، أي في الشـهر الثامن من أصل ١٢ شهراً، وهو بالضبط في اليوم الذي كان فيه عمر الكون في ثلثي عمره، ويخبرنا التقويم الكوني في القرآن الكريـم أن الأرض خلقت في اليوم الرابع من أصـل ٦ أيام، أي عندما كان الكون بالضبط في ثلثي عمره، وهذا مذكور في سورة فصلت من الآية ١٠، إلى الآية ١٢».

نجد البرنامج في مقارنته بين التقويم الكوني لكارل والآيات القرآنية يبدأ بالآية العاشـرة من سـورة فصلت، ويتغافل عن ذكر الآية التاسـعة من السـورة، ولعلهم فعلـوا ذلك هروبا مـن المعارضة في اختلال الحسـاب عندما تُقرأ الآيةُ التاسـعة، وهكـذا تكـون الأربعة التي في القرآن متوافقة بالنسـبة العددية مـع التقويم الكوني ولمضمـون الجدول الذي فصل فيـه كارل خلق الأرض، فلنقـرأ الآيات كلها مع الآيـة التاسـعة من سـورة فصلـت: ﴿قُلْ أَئِنَّكُمْ لَتَكْفُرُونَ بِالَّذِي خَلَقَ الْأَرْضَ فِي يَوْمَيْنِ وَتَجْعَلُونَ لَهُ أَندَادًا ذَٰلِكَ رَبُّ الْعَالَمِينَ ﴿٩﴾ وَجَعَلَ فِيهَا رَوَاسِيَ مِن فَوْقِهَا وَبَارَكَ فِيهَا وَقَدَّرَ فِيهَا أَقْوَاتَهَا فِي أَرْبَعَةِ أَيَّامٍ سَوَاءً لِّلسَّائِلِينَ ﴿١٠﴾ ثُمَّ اسْتَوَىٰ إِلَى السَّمَاءِ وَهِيَ دُخَانٌ فَقَالَ لَهَا وَلِلْأَرْضِ ائْتِيَا

(١) تنينات عدن صـ ٢٦.

طَوْعًا أَوْ كَرْهًا قَالَتَآ أَتَيْنَا طَآئِعِينَ ﴿١١﴾ فَقَضَىٰهُنَّ سَبْعَ سَمَٰوَاتٍ فِى يَوْمَيْنِ وَأَوْحَىٰ فِى كُلِّ سَمَآءٍ أَمْرَهَا ۚ وَزَيَّنَّا ٱلسَّمَآءَ ٱلدُّنْيَا بِمَصَٰبِيحَ وَحِفْظًا ۚ ذَٰلِكَ تَقْدِيرُ ٱلْعَزِيزِ ٱلْعَلِيمِ ﴾ [فصلت: ٩ - ١٢].

فنحن نجد الأيام الأربعة في الآية تتضمن **خلق الأرض** في يومين﴿ خَلَقَ ٱلْأَرْضَ فِى يَوْمَيْنِ ﴾، **وجعل** الرواسي وتقدير الأقوات وبارك فيها، في قوله تعالى:﴿ وَجَعَلَ فِيهَا رَوَٰسِىَ مِن فَوْقِهَا وَبَٰرَكَ فِيهَا وَقَدَّرَ فِيهَآ أَقْوَٰتَهَا فِىٓ أَرْبَعَةِ أَيَّامٍ سَوَآءً ﴾، فالخلق إنشاء؛ أما «الجعل: تكوين آخر حصل بعد خلق الأرض؛ وهو خلق أجزاء تتصل بها إما من جنسها كالجبال وإما من غير جنسها كالأقوات، ولذلك أعقب بقوله: في أربعة أيام بعد قوله: في يومين»[(١)] وكان هذا الأسلوب البياني لقصد الإيجاز، والتقدير: في تمام أربعة أيام باليومين المتقدمين؛ ليكون احتساب الأيام: يومان لخلق الأرض، ويومان لجعل الرواسي وتقدير الأقوات والمباركة، فذلك كله أربعة أيام[(٢)].

وما تقدم من الشرح لا يتوافق من حيث النسبة العددية مع فكرة كارل التي طرحها في كتابه، لأن تشكيل الأرض بدأ حسب تقدير كارل في ١٤ سبتمبر، وأما ظهور الحياة على وجه الأرض بدأ في ٢٥ سبتمبر[(٣)]، أي في الشهر التاسع، وفي ذلك يقول كارل: «فالأرض لم تتكون إلا في شهر سبتمبر، والديناصورات تظهر في ليلة عيد الميلاد، وتظهر الزهور في ٢٨ سبتمبر أما ظهور الرجال والنساء فقد حدث في ليلة رأس السنة، ويحتل كل ما سجل من أحداث في التاريخ: الثواني العشر الأخيرة، ورغم ضخامة ما شغلنا من وقت في تاريخ الكون؛ فمن الواضح أن ما سيحدث على الأرض خلال السنة الكونية المقبلة سوف يعتمد على حكمة العلم وعلى الحساسية الإنسانية للجنس البشري»[(٤)].

---

(١) التحرير والتنوير (٢٤/ ٢٤٣)

(٢) انظر: تفسير ابن كثير ٧/ ١٦٦، اللباب لابن عادل ١٧/ ١٠٦، التحرير والتنوير ٢٤/ ٢٤٤.

(٣) تنينات عدن صـ ٢٤.

(٤) تنينات عدن صـ ٢٤.

ومما سبق نسجل الملاحظات الآتية:

أحدهما: عدم دقة البرنامج في نقل كلام كارل ساغان، إذ نقلوا عنه **أن الأرض تكونت «في نهاية أغسطس**، أي في الشهر الثامن من أصل ١٢ شهراً»، بينما كارل ذكر أن الأرض تشكلت في منتصف سبتمبر، وظهرت الحياة فيها في ٢٥ سبتمبر أي الشهر التاسع، وهذا فارق زمني كبير.

فهل البرنامج غير مطلع على تقويم كارل، أم أنهم غيروا في التواريخ ليكون تقويم كارل متوافقاً مع تقويم الأيام الستة حسب ما يريدون؟!.

الثاني: اجتزاء النص القرآني: عندما بدأوا بالآية العاشرة التي فيها تشكيل الأرض، ولم يبدأوا بالآية التاسعة التي فيها خلق الأرض، تفاديا من الوقوع بإشكال اختلاف اليومين الذين خلقت فيهما الأرض واليومين الذين تشكلت فيهما الأرض، واقتصروا على كلمة «أربعة أيام» فقالوا: «وهو بالضبط في اليوم الذي كان الكون في ثلثي عمره، ويخبرنا التقويم الكوني في القرآن الكريم أن **الأرض خلقت في اليوم الرابع من أصل ٦ أيام، أي عندما كان الكون بالضبط في ثلثي عمره**».

الثالثة: مخالفتهم للدلالة اللغوية في عدم مراعاة التفريق بين الخلق والجعل.

ثانيًا: كان البرنامج يعرض الآيات في خلق السماوات والأرض في ستة أيام في المجموعتين؛ ويقف عند ستة أيام ولا يكمل الآية حتى نهايتها وفيها ﴿ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ﴾ [الأعراف: ٥٤، السجدة: ٤]، وإذا استعرضنا الآيات التي تتكلم عن خلق السماوات والأرض في ستة أيام في القرآن الكريم سنجدها كلها متبوعة في سياقها بقوله تعالى: ﴿ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ﴾، وهي: قوله تعالى: ﴿إِنَّ رَبَّكُمُ ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ﴾ [الأعراف: ٥٤]، وقوله تعالى: ﴿إِنَّ رَبَّكُمُ ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ﴾ [يونس:٣]، وقوله تعالى: ﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِى رَفَعَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَهَا ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ﴾

[الرعد:٢]، وقوله تعالى: ﴿ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ ﴾ [الفرقان:٥٩]، وقوله تعالى: ﴿ ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ ﴾[السجدة:٤]، وقوله تعالى: ﴿ هُوَ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ ﴾[الحديد:٤]، وأما قوله تعالى: ﴿ وَلَقَدْ خَلَقْنَا ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ وَمَا مَسَّنَا مِن لُّغُوبٍ ﴾[ق:٣٨] فهي الآية الوحيدة التي ليس فيها ﴿ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ ﴾

ومن المعلوم في العربية أن «ثم» تفيد الترتيب، أي أن استواءه سبحانه وتعالى كما يليق به دون تشبيه كان بعد تمام خلق السماوات والأرض على النحو الذي فصل في سورة فصلت، وهذا يعني أن الأيام الستة قد انتهت، وأن خلق السماوات والأرض وما بينهما على الشكل الذي يصلح معيشة الإنسان والابتلاء والاختبار قد تمت أصولها وأركانها، وقد خالف البرنامج هذا المعنى الذي دل عليه القرآن؛ عندما اعتبر الأيام الستة ما زالت مستمرة لم تنته بعد، وأن ما يستجد من مخلوقات هي في ضمن المعيار الزمني للأيام الستة، وعلى هذا المفهوم فإن استواء الرحمن سبحانه على عرشه لم يحصل بعد، مع أنه تكرر ذكره بالفعل الماضي الدال على الحصول والتحقق بعد ذكر خلق السموات والأرض في ست آيات ومن بينها الآيات التي فيها (وما بينهما).

ثالثًا: جعله مفهوم التقويم الكوني معياراً لمفهوم الأيام الستة التي ذكرت في الآيات.

فمفهوم اليوم في الآيات يختلف دلالة عما اعتبره البرنامج، ومفهوم اليوم في العادة واللغة يعود نقديره لشروق الشمس ومغيبها، وعندما خلق الله السموات والأرض لم تكن ثمة شمس ولا أرض، وعلى هذا فإن معنى اليوم له أربعة احتمالات[1]:

---

(١) انظر: زاد المسير لابن الجوزي ٢/ ١٢٧، تفسير ابن كثير ٣/ ٤٢٦، اللباب ٩/ ١٤١، تفسير أبي السعود ٣/ ٢٣٣، محاسن التأويل للقاسمي ٥/ ٦٧ ، التحرير والتنوير القسم ب من الجزء ٨/ ١٦٢.

أحدها: في ستة أيام: أي بتقدير أيامكم هذه التي تعيشونها بعدما خلق الشمس والقمر، وهي من طلوع الفجر الصادق حتى غروب الشمس، وهذا المعنى ممكن في ظاهر اللفظ، وهو المتبادر إلى الذهن في إطلاقه، ويحقق غرض الآيات التي ذكر فيها الخلق لبيان عظمة الله وقدرته؛ والمعنى على ذلك: أن الله خلق السموات والأرض في ستة أيام، كل يوم منها يماثل زمنه زمن اليوم الذي تعيشونه، وهذا القول يؤيده الحديث الصحيح: عن أبي هريرة رضي الله عنه، قال: أخذ رسول الله صلى الله عليه و سلم بيدي فقال: «خلق الله عز وجل التربة يوم السبت وخلق فيها الجبال يوم الأحد..» الحديث[1].

وثانيها: جاء تقدير اليوم في القرآن بقوله تعالى: ﴿وَيَسْتَعْجِلُونَكَ بِالْعَذَابِ وَلَن يُخْلِفَ اللَّهُ وَعْدَهُ وَإِنَّ يَوْمًا عِندَ رَبِّكَ كَأَلْفِ سَنَةٍ مِّمَّا تَعُدُّونَ﴾ [الحج:٤٧]

وقوله تعالى: ﴿يُدَبِّرُ الْأَمْرَ مِنَ السَّمَاءِ إِلَى الْأَرْضِ ثُمَّ يَعْرُجُ إِلَيْهِ فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُ أَلْفَ سَنَةٍ مِّمَّا تَعُدُّونَ ۝٥﴾ [السجدة:٥]، وبهذا يكون المعنى أن الله خلق السموات والأرض في ستة آلاف سنة مما تعدون، وهي ستة أيام عند الله، وهذا وجه قوي أيضًا، ولكن ما يضعفه عن الذي قبله أنه جاء لبيان أيام القيامة[2].

ثالثها: وجاء تقديرها في القرآن أيضًا بخمسين ألف سنة، وذلك في قوله تعالى: ﴿تَعْرُجُ الْمَلَائِكَةُ وَالرُّوحُ إِلَيْهِ فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُ خَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ﴾ [المعارج:٤]؛ ولكن لم تذكر هذه الآية أن «الخمسين ألف سنة» مما تعدون، وعلى

---

(١) صحيح مسلم كتاب صفات المنافقين وأحكامهم باب ابتداء الخلق وخلق آدم رقم (٢٧٨٩) ٤/ ٢١٤٩، وقد كتب الدكتور أحمد السيد الجداوي بحثًا تحليليا للحديث رواية ودراية بعنوان «حديث التربة بين القبول والرد دراسة حديثية»، منشور في مجلة حولية كلية الدراسات الإسلامية والعربية للبنات بالإسكندرية لعام ٢٠١٨، تعرض فيه الدكتور لشرح الحديث تفصيليًا وحل ما يوهم التعارض مع آيات سورة فصلت انظر من صـ ٥٨ فما بعد.

(٢) انظر: التحرير والتنوير ١٧/ ٢٩١، أضواء البيان محمد الأمين الشنقيطي ٥/ ٢٧٩، ٢٨٠.

اعتبار هذا العد فإن ستة أيام عند الله تعادل ثلاث مئة ألف سنة، وهو محتمل، ولكن ما يضعفه أن هذه الآية تبين مقدار اليوم الذي تعرج فيه الملائكة، وليس مقدار اليوم الذي عند الله كما في آية [الحج:٤٧]، و[السجدة:٤] السابقتين.

ورابعها: أن المراد باليوم مطلق الوقت، كقوله تعالى: ﴿ وَمَن يُوَلِّهِمْ يَوْمَئِذٍ دُبُرَهُۥ ﴾ [الأنفال:١٦]، أي وقتئذٍ، أي أن السماوات والأرض خلقت في ستة أوقات، ومقصود هذا القول أن السماوات والأرض خُلقت عالماً بعد عالم ولم يشترك جميعها في أوقات تكوينها، وهذا أضعف الأقوال.

وأرى أن أرجح الأقوال السابقة في اليوم هو الأول، لأن الألفاظ القرآنية تفسر بالمفاهيم الشرعية المدلول عليها من القرآن والسنة، بل هي مقدمة على اللغة في البيان؛ فكيف وقد توافقت مع اللغة والعرف والشرع، وما يقوي هذا الترجيح أن الله تعالى قضى عدة الشهور عنده يوم خلق العالم بـإثني عشر شهراً فقال تعالى: ﴿ إِنَّ عِدَّةَ ٱلشُّهُورِ عِندَ ٱللَّهِ ٱثْنَا عَشَرَ شَهْرًا فِى كِتَٰبِ ٱللَّهِ يَوْمَ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ ﴾ [التوبة:٣٦]، و«المراد أنه كتب هذا الحكم وحكم به يوم خلق السموات والأرض، والمقصود بيان أن هذا الحكم حكم محكوم به من أول خلق العالم»[(١)]، ولما كان الشهر معروف بأيامه المقدرة في علم الله والمقضية في اللوح المحفوظ وهي المعتبرة من أول خلق العالم فيتعين المراد باليوم أن تكون بهذا التقدير ولو لم يكن ثمة شمس ولا قمر ولا أفلاك، فمقدار الزمن معلوم عند الله، وهو سبحانه غني عن حركة الأفلاك في ضبطه؛ ولذلك فإن العدول عن ذلك إلى نسب حسابية بشرية مقترحة لا برهان عليها ولا تدخل في أصول لاستدلال العلمية الشرعية؛ ولا تحتملها الآية بوجه؛ يعني التحكم في الدلالة بالتشهي وبما لا يدل عليه النص الشرعي.

---

(١) تفسير الرازي: ١٦/ ٤١.

رابعـًا: نجد خلـلاً في عرض البرنامـج لفكرة كارل سـاغان، فالبرنامج يعتبر الأحداث الجارية متجددة ومسـتمرة، وتدخل في الثانية الأخيرة بالضغط الزمني، بينمـا كارل سـاغان نفسـه لم يقل ذلك؛ بل علـى العكس، فإنه يصـرح بأن الثانية الأخيرة من الكون هي السنوات التي نعيشها وتنتهي بانتهاء معيارها الذي وضعه للثانية (٤٧٥ يومـًا)، وبعدها ستبدأ سنة كونية جديدة فيقول: يقول: «ويحتمل كل ما سـجل من أحداث في التاريخ: الثواني العشـر الأخيرة، ورغم ضخامة ما شغلنا من وقت في تاريخ الكون؛ فمن الواضح **أن ما سيحدث على الأرض خلال السنة الكونية المقبلة** سوف يعتمد على حكمة العلم وعلى الحساسية الإنسانية للجنس البشـري»[(١)]، إذن هـو وضع احتمال فتح سـنة كونية جديـدة، والبرنامج اعتبر أن الثانية الأخيرة من تقويم كارل ستنضغط باعتبار الأحداث المقبلة.

ولعـل الذي ألجأهم لهـذا هو تطويع التقويم الكوني لفكرة الأيام السـتة التي تكلموا عنها، فالأيام السـتة بمفهومهم ما زلنا نعيشـها، ولا يوجد غيرها، وبما أن التقويم الكوني برأيهم يتوافق مع نسـبة الأيام السـتة، فكما أن الأيام السـتة ينتهي العالم بها فإن العالم سـينتهي بانتهاء التقويم الكوني أيضـًا، وهذا خلط عجيب في التحكيم بالنصوص والأفكار.

إن مـا عرضـه كارل في كتابه حول التقويم الكوني لا يعدوا مثالاً لتقريب فكرة تطور الخلق بالمفهوم الداروني الذي يعتقده حول التطور، كما أنه نفسـه لا يطرح تقويمـه على أسـاس السـبق العلمي أو الاكتشـاف المبهر، بل يطرح على سـبيل التعليم مع تخوف من رفضه، يقول كارل في مقدمة كتابه: «فإني أقدم أفكاري وبي درجـة كبيرة من الخوف والتردد وأنا أعلم أن الكثير منها قابل للإثبات أو الرفض بالتجربة العلمية»[(٢)]

---

(١) تنينات عدن صـ ٢٤.

(٢) تنينات عدن صـ ٢١.

ولكن البرنامج هوّل من شـأنه وكأنه اكتشاف عظيم، حتى قارن البرنامج بين ذكاء كارل وذكاء القرآن!!!، وبناء على ما سبق فالبرنامج وقع في خطأين فادحين:

أولهما: عدم الدقة في نقل معلومات كارل سـاغان حول التقويم الكوني الذي اقترحـه، إضافة لاعتبارهم التقويم اكتشـافًا مبهراً في الوقـت الذي يعتبره صاحبه وسيلة تعليمية لتقريب مقاييس زمن تطور الكون برأيه.

ثانيهمـا: خـروج البرنامج عن الأصول العلمية لتفسـير القرآن باجتزاء النص القرآني وقطعه عن سياقه، وبمقارنة التقويم الكوني بالأيام الستة، ثم باعتبار الأيام الستة ما زالت سارية ومستمرة حتى نهاية الكون.

ومن خلال ما سبق فإن التقويم الكوني الذي طرحه كارل ساغان لتقريب زمن الكون وفق معايير الزمن الذي نعيشـه ليس إلا تقريبا لزمن التطور الداروني الذي يـراه، ولذلـك كان التقويم الكوني هو الفصـل الأول لكتابه، ثم تحدث عن تطور الإنسـان والـذكاء والحيوانات وغير ذلـك، لتقترب فكرة التطور وفق التسلسـل الزمني بالمعايير التي طرحها في تقويمه الكوني.

النموذج الثالث: مناطق الفضاء السبع والسموات السبع :

عنوان الحلقة: «الآن يمكنك مشاهدة كل سماء من السبع سموات في القرآن بعينك»[1]، وتتلخص فكرة هذه الحلقة في وجود سـبع مناطق في الفضاء، تشـكلت بفعل الانفجار العظيم، وأن هذه المناطق السـبع تحكي تاريخ الانفجار العظيم، «كل منطقة استمرت لفترة محدودة وما زالت موجودة إلى الآن، وبإمكان العلماء الآن أيضا أن يروا كل منطقة من مناطق الفضاء السابقة على حدة، ويذكر البرنامج أن هـذه المناطـق لعبـت دورا مهما في تشـكيل الكون بعد الانفجـار الكبير، **هذه المناطق السـبعة هي: منطقة النظام الشمسـي، منطقة المجرات، منطقة المجرات**

(١) المنشورة على قناتهم بتاريخ ١٤/ ٨/ ٢٠١٨: https://www.youtube.com/watch?v=Am6D5vNBN0Y

البدائية، منطقة إعادة التأين، منطقة النجوم الأولى، ثم منطقة العصر المظلم، حتى يصـل بصرك إلـى منطقة الانفجـار الكبير نفسـه، وأن النظر في الفضـاء هو عودة بالزمـن إلى الوراء، وقد تصل إلى رؤية الضوء الـذي انبعث مع الانفجار الكبير، نفسه لحظة بدء الكون.

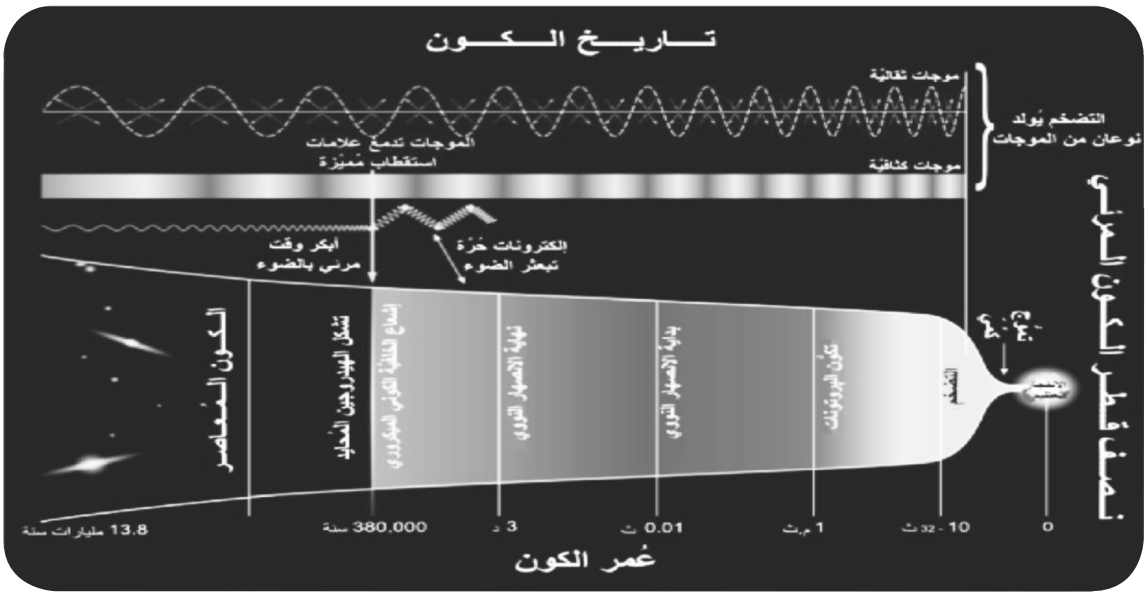

شـكل عمر الكون والمناطق التي تشـكلت عـبر تاريخ الكـون كما يعرضها البرنامج والصورة مأخوذة من موقع ويكبيديا[١]

وقـد اعتمـدوا في هذه الحلقة أساسـاً على مقـال علمي بعنـوان: « التضخم الكـوني، كيف أعطى الكون في نهاية المطاف ركلة البداية» للكاتب كارل تيت[٢]،

---

(١) انظر:
https://ar.wikipedia.org/wiki/%D8%AA%D8%B3%D9%84%D8%B3%D9%84_%D8%B2%D9%85%D9%86%D9%8A_%D9%84%D9%84%D8%A7%D9%86%D9%81%D8%AC%D8%A7%D8%B1_%D8%A7%D9%84%D8%B9%D8%B8%D9%8A%D9%85#/media/%D9%85%D9%84%D9%81:History_of_the_Universe-ar.svg

(٢) Cosmic Inflation: How It Gave the Universe the Ultimate Kickstart (Infographic) على الرابط:
https://www.space.com/25075-cosmic-inflation-universe-expansion-big-bang-infographic.html
بتاريـخ ١٧/ ٤/ ٢٠١٤ باسـم: « التضخـم الكوني، كيف أعطـى الكون في نهاية المطـاف ركلة البداية» للكاتب كارل تيت

ذكر فيه مناطق الفضاء التي أوجدها الانفجار الكبير أثناء تشكل الكون، وبين فيه أنه منذ الانفجار العظيم فإن المجرات تتوسع بحيث أن معظم المجرات تتحرك بعيدا عن بعضها البعض، أبعد المجرات هي أصغر المجرات سنا»

ثم يقول البرنامج: «والمدهش قبل وجود تلسكوب ويب أو تلسكوب هابل اللذين يمكنهما رؤية أحداث نشأة الكون في الماضي من السماء، **أخبرنا القرآن أن قصة خلق الكون هي قصة سبعة مناطق في الفضاء، ولكل منطقة دور محدد في أحداث نشأة الكون بتكليف من الله في عملية خلق الكون، ومن المهم أولا أن نتذكر أنه في وقت نزول القرآن أن كلمة «الفضاء» كانت غير معروفة، وكان يستخدم الناس كلمة السماء، للإشارة إلى ما هو فوق الأرض، لذلك في الآيات القرآنية التالية، كلمة «السماء تشير إلى ما نسميه الآن الفضاء تماما كما تخبرنا نظرية الانفجار الكبير أن قصة خلق الكون هي قصة مناطق في الفضاء، وكل منطقة كان لها دور محدد في خلق الكون**، ولكل منطقة فترة محددة من الزمن، يخبرنا القرآن الكريم أنه أثناء عملية خلق الكون ﴿فَقَضَىٰهُنَّ سَبۡعَ سَمَٰوَاتٖ فِي يَوۡمَيۡنِ وَأَوۡحَىٰ فِي كُلِّ سَمَآءٍ أَمۡرَهَاۚ وَزَيَّنَّا ٱلسَّمَآءَ ٱلدُّنۡيَا بِمَصَٰبِيحَ وَحِفۡظٗاۚ ذَٰلِكَ تَقۡدِيرُ ٱلۡعَزِيزِ ٱلۡعَلِيمِ﴾ [فصلت: ١٢]»، ثم عاد البرنامج ليستشهد بالتقويم الكوني الذي تكلمنا في النموذج السابق، لتصوير تاريخ نشأة الكون، من خلال ضغط عمر الكون حسب زعمهم ١٣,٧ مليار سنة في سنة واحدة، لفهم نشأة الكون بشكل أسهل، وأعاد فكرة الضغط الزماني للأيام الستة في القرآن الكريم، وعاد إلى التأكد على أن تشكل الأرض كان في ثلث عمر الكون وقد رددنا عليها سابقًا، ثم قال البرنامج: «**إليكم معلومة أخرى، على الرغم من أننا جميعًا نعرف أن الأرض مستديرة، أثبتت ناسا أن الكون فضاؤه مستوي أي مسطح، ويخبرنا الله في القرآن الكريم أنه أكمل مناطق الفضاء إلى سبعة في شكل مستوي، في سورة البقرة في الآية ٢٩**

يقول القرآن: ﴿ هُوَ ٱلَّذِى خَلَقَ لَكُم مَّا فِى ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا ثُمَّ ٱسْتَوَىٰٓ إِلَى ٱلسَّمَآءِ فَسَوَّىٰهُنَّ سَبْعَ سَمَٰوَٰتٍ ۚ وَهُوَ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ ﴾ [البقرة:٢٩]»، ثم يتكلم البرنامج عن التجانس والانتظام في مناطق الكون المتباعدة، وأننا يمكننا مشاهدة هذا التجانس من خلال النظر في مناطق الفضاء السبعة، **وهذا التجانس الموجود بين مناطق الكون المتباعد في الفضاء**، قاد الفيزيائيين إلى التوصل إلى استنتاج مهم في نظرية الانفجار الكبير، هو أن مناطق الكون المتباعدة في الفضاء كانت جميعها في حالة تلامس وتلاحم مع بعضها البعض، **في بداية نشأة الكون في الماضي قبل حدوث التضخم الكوني هذا يتفق مع ما يقوله القرآن الكريم قبل ١٤٠٠ سنة**، ﴿ أَوَلَمْ يَرَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ أَنَّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ كَانَتَا رَتْقًا فَفَتَقْنَٰهُمَا ۖ وَجَعَلْنَا مِنَ ٱلْمَآءِ كُلَّ شَىْءٍ حَىٍّ ۖ أَفَلَا يُؤْمِنُونَ ﴾ [الأنبياء:٣٠]، **ثم يعود البرنامج ليقول: «يقول القرآن الكريم لنا أن السماوات أو مناطق الفضاء كما نسميها الآن كانت قطعة واحدة متلاحمة، ثم فصلها الله -فتقها الله - إلى مناطق الفضاء المتباعدة في الكون التي نراها الآن، وهذا ما يؤكده العلم الآن بأن مناطق الفضاء المتباعدة في الكون التي نراها الآن كانت جميعا في حالة تلامس وتلاحم مع بعضها البعض، في بداية نشأة الكون في الماضي قبل حدوث الانفجار الكبير، وبعد ذلك بفضل التضخم الكوني أصبحت مناطق الفضاء المتباعدة في الكون التي نراها الآن»، ثم ينتقل الكلام في الحلقة نحو الحديث عن كوكب الأرض وأنه كان أيضًا قطعة واحدة**، ثم مرت بعملية التمايز الكوكبي مما أدى إلى فصل طبقات الأرض بناء على كثافتها، وأن هذا المعنى متضمن في الآية السابقة.

التحليل العلمي والنقد:

نلاحظ ارتباط هذه الحلقة مع حلقة التقويم الكوني والأيام الستة السابقة، ولكن في هذه الحلقة عدة قضايا أساسية سنتعرض لها، ولكن قبل ذلك يجب

التنبيه إلى أن البرنامج يكثر التركيز على الانفجار الكبير، وكأنها بالنسبة له من المسلمات، ونحن لا ننكر أن هذه النظرية لها الحظ الأوفر بالقبول عند كثير من الفيزيائيين الفلكيين، ولكنها ما زالت محل نظر وشك عند كثير آخرين[١]، فهي لا ترتقي للحقيقة العلمية أبداً.

القضية الأولى: وهي في تفسيرهم السماء بالفضاء، وتفسيرهم السماوات السبع بسبع نقاط فضائية.

أما تفسير السماء بالفضاء بحجة أن كلمة الفضاء لم تكن معروفة عند نزول القرآن، وعليه فإن القرآن عبر عن الفضاء بكلمة السماء، وبذلك تنسجم الآيات عندهم مع ما يريدون تقريره في أن السماوات السبع هي مناطق فضائية، وهذا شطط في لي عنق اللفظ وجر المعنى عنوة ليتوافق مع مفهوم فلكي، والأكثر غرابة دعواهم عدم معرفة العرب لكلمة الفضاء عند نزول القرآن، وكأن القرآن نزل بمصطلحات الفلكيين الغربيين، ولكن العرب لم تكن تعي ذلك!!.

وأما الفضاء فهي من فضى؛ ودلالتها في أصل وضعها اللغوي يدلُّ على انفساحٍ في شيء واتِّساع، ومن ذلك الفَضاء: المكان الواسِع[٢]، إذن فالفضاء ليس مفهوماً بالغريب على العرب في أصله، ولا بعيداً عن استخداماتهم، واللغة العربية مطاوعة في توسيع دلالتها انطلاقا من أصل وضعها، فكلما استجد من المعارف عند العرب استخدموا من الألفاظ التي تدل أصول وضعها على هذا المعنى ووسعوه، وقد يعبرون عنه بألفاظ متواطئة في المعنى أيضاً، ومن ذلك «أفق» فقد استخدمت بما يشبه النواحي الواسعة للسماء دون حد، لتباعد أطرافها، وهذا المعنى استخدمه القرآن الكريم في قوله تعالى: ﴿ سَنُرِيهِمْ ءَايَٰتِنَا فِى ٱلْءَافَاقِ وَفِىٓ

(١) ينظر للتوسع في هذا مقالا علميا بعنوان: هل كان الانفجار العظيم انفجاراً؟ المصدر: ناسا بالعربي: https://nasainarabic.net/main/articles/view/was-the-big-bang-really-an-explosion

(٢) معجم مقاييس اللغة لابن فارس ٤/ ٥٠٨.

أَنفُسِهِمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ ٱلْحَقُّ ﴾[سورة فصلت:٥٣]، وهو المعنى الذي كانت تقوله العرب، كقول الشاعر(١):

نـــؤمُّ بـــآفـــاق الـــســـمـــاء وتـــرتـــمـــي
بـــنـــا بـــيـــنـــهـــا أرجـــــاء دَويّـــــةٍ غُـــبـــرُ

ويروى عن أبي حنيفة (١٥٠هـ) رضي الله عنه أنه قال: «للسّماء آفاقٌ وللأرض آفاق، فأمّا آفاق السماء فما انتهى إليه البصر منها مع وجه الأرض من جميع نواحيها، وهو الحدُّ بين ما بَطَن من الفَلَك وبين ما ظَهَر من الأرض»(٢)، وتقول العرب للكوكب إذا كان قريبًا مجراه من الأفق لا يكبِّد السماء: أُفُقِيٌّ وَأَفَقِيٌّ»(٣)، فدعوى عدم معرفة الفضاء تجهيل واستخفاف.

وأما تفسير السماء بالفضاء: فإن القرآن صرّف في دلالات السماء، فكل موضع يحتكم في دلالته إلى الأصل الوضعي مع السياق، فانظر إلى قوله تعالى: ﴿ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَرْضَ فِرَٰشًا وَٱلسَّمَآءَ بِنَآءً وَأَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَخْرَجَ بِهِۦ مِنَ ٱلثَّمَرَٰتِ رِزْقًا لَّكُمْ ﴾[البقرة:٢٢]فقد وردت فيها السماء مرتين، كل واحد منهما تحمل معنى العلو الذي هو أصل الوضع، ولكن المراد بها في هذا السياق يختلف، فالسماء التي هي بناء فمعناها: مطلق العلو الذي يقابل الأرض وكأنه سقف للأرض، كما في قوله تعالى:﴿ وَجَعَلْنَا ٱلسَّمَآءَ سَقْفًا مَّحْفُوظًا ﴾[الأنبياء:٣٢]؛ أما السماء الثانية التي ينزل منها المطر فهي السحاب(٤)، وهذا يختلف عن دلالة السماء في قوله تعالى: ﴿ أَلَمْ يَرَوْا۟ إِلَى ٱلطَّيْرِ مُسَخَّرَٰتٍ فِى جَوِّ ٱلسَّمَآءِ مَا يُمْسِكُهُنَّ إِلَّا ٱللَّهُ ﴾

(١) ديوان ذي الرمة برواية ثعلب شرح الباهلي ١/ ٥٨٩، أحمد بن حاتم الباهلي (٢٣١ه)، ومعنى نؤم بآفاق السماء: أي نقصد الطرقات بالسماء وآفاقها وكواكبها.

(٢) معجم مقاييس اللغة لابن فارس ١/ ١١٤.

(٣) معجم مقاييس اللغة لابن فارس ١/ ١١٥.

(٤) انظر: تفسير القرطبي محمد بن أحمد (٦٧١هـ) ١/ ٢٢٩

[النحل:٧٩]، فجو السماء: هو جو العلو المتاح للطير أن تطير فيه وهو دون السقف ودون السحاب، وقد يكون فوق السحاب إذا استطاع الطير التحليق فوقه.

أما السماوات السبع فيختلف مدلولها عما سبق، وقد ذكرت في القرآن في مواضع كثيرة، بين القرآن في هذه المواضع: مادة خلقها، وعددها وعظمها وسمكها وإحكام بنائها وعجائبها الخ[1]، فهي أجرام معروفة، وصفت في القرآن بأوصاف مختلفة فهي والأرض كانتا رتقاً ففتقهما الله، قال تعالى: ﴿ أَوَلَمْ يَرَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ أَنَّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ كَانَتَا رَتْقًا فَفَتَقْنَٰهُمَا ﴾ [الأنبياء:٣٠]، وكانت السماء دخاناً فسواها سبعاً طباقاً[2]، قال تعالى: ﴿ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰٓ إِلَى ٱلسَّمَآءِ وَهِىَ دُخَانٌ فَقَالَ لَهَا وَلِلْأَرْضِ ٱئْتِيَا طَوْعًا أَوْ كَرْهًا قَالَتَآ أَتَيْنَا طَآئِعِينَ ﴾ [فصلت:١١]، وقال تعالى: ﴿ هُوَ ٱلَّذِى خَلَقَ لَكُم مَّا فِى ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا ثُمَّ ٱسْتَوَىٰٓ إِلَى ٱلسَّمَآءِ فَسَوَّىٰهُنَّ سَبْعَ سَمَٰوَٰتٍ ﴾ [البقرة:٢٩]، وبين تعالى أن خلق السموات السبع كان في يومين فقال تعالى: ﴿ فَقَضَىٰهُنَّ سَبْعَ سَمَٰوَاتٍ فِى يَوْمَيْنِ وَأَوْحَىٰ فِى كُلِّ سَمَآءٍ أَمْرَهَا وَزَيَّنَّا ٱلسَّمَآءَ ٱلدُّنْيَا بِمَصَٰبِيحَ وَحِفْظًا ذَٰلِكَ تَقْدِيرُ ٱلْعَزِيزِ ٱلْعَلِيمِ ﴾ [سورة فصلت:١٢] وذكر القرآن أن هذه السموات السبع طباق فقال تعالى: ﴿ ٱلَّذِى خَلَقَ سَبْعَ سَمَٰوَٰتٍ طِبَاقًا مَّا تَرَىٰ فِى خَلْقِ ٱلرَّحْمَٰنِ مِن تَفَٰوُتٍ ﴾ [الملك:٣]

ومما سبق نستفيد أن السماوات السبع فوق بعضها، وأن أول طابق منها هي السماء الدنيا لأنها أدناها، وهذا يعني أن السماء السابعة أعلاها، فهي طباق عمودي وليس أفقياً، وانظروا كيف ميز السماء الدنيا بأنها الجرم الذي يعلو النجوم والمجرات والأفلاك، حتى غدت كالمصابيح المتدلية من السقف، وبينت الآيات السابقة أن لكل سماء شأنها المختلف عن غيرها؛ لأنه تعالى أوحى

(١) ينظر للتوسع: هدي القرآن الكريم إلى معرفة العوالم والتفكر بالأكوان، عبد الله سراج الدين صـ ٨٣.
(٢) انظر تفسير القرطبي ١٨/ ٢٠٨.

في كل سماء أمرها، فهي عوالم سبع، لكل عالم منها نظامه وشأنه، وأما النجوم والشمس والقمر فهي تغاير السماوات لأن الله ذكرهم جميعًا في آية واحدة، في قوله تعالى: ﴿إِنَّ رَبَّكُمُ ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ يُغْشِى ٱلَّيْلَ ٱلنَّهَارَ يَطْلُبُهُۥ حَثِيثًا وَٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ وَٱلنُّجُومَ مُسَخَّرَٰتٍۭ بِأَمْرِهِۦٓ ۗ أَلَا لَهُ ٱلْخَلْقُ وَٱلْأَمْرُ ۗ تَبَارَكَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٥٤﴾﴾ [الأعراف:٥٤]، فغشاوة الليل والنهار وتسخير الشمس والقمر والنجوم كان بعد تمام الخلق؛ بينما البرنامج يعتبر النجوم والشمس والقمر في منطقة السماء الأولى، وهذه مخالفة صريحة.

فلو كانت السماوات السبع كما يصفها البرنامج بأنها سبع مناطق فضائية تنتهي عند نقطة الانفجار العظيم، فهذا يعني أن ملك الله وعلمه لا يتعداها من المخلوقات – حاشاه سبحانه وتعالى –، قال تعالى: ﴿وَلِلَّهِ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ ۚ وَإِلَى ٱللَّهِ تُرْجَعُ ٱلْأُمُورُ﴾ [آل عمران:١٠٩]، وقال تعالى: ﴿وَيَعْلَمُ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ﴾ [آل عمران:٢٩]، ولكان ميراث الله تعالى ما حدده البرنامج – سبحانه وتعالى –،قال تعالى:﴿وَلِلَّهِ مِيرَٰثُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾ [آل عمران:١٨٠]؛ ولكان الذين انقادوا إلى الله هم ما في حيز المناطق الفضائية السبعة حسب فهم البرنامج، قال تعالى: ﴿وَلَهُۥٓ أَسْلَمَ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ طَوْعًا وَكَرْهًا﴾ [آل عمران:٨٣].

إن جنوح البرنامج إلى تفسير السموات السبع بتلك المناطق السبعة التي تنتهي بنقطة الانفجار الكوني؛ جعلهم يجنحون في المقابل إلى تأويل أكثر فساداً وأشد نكيراً وذلك في حلقة «والنجم إذا هوى» عندما ذكروا أن نهاية الإسراء والمعراج كان عند الثقوب السوداء، وأن الرسول ﷺ وصل إلى حافتها وعندها سدرة المنتهى وجنة المأوى[1]، وهذا يعني أن الرسول صلى الله عليه وسلم عرج

(١) انظر الحلقة على الرابط: https://www.youtube.com/watch?v=lLDXgzv91ks

إلى هذه المناطق فقط، ثم وصل إلى الثقوب السوداء!! إذن: كيف رأى أهل الجنة والنار؟، ثم كيف وصل إلى الثقب الأسود ولم يبتلعه والمعروف عند الفيزيائيين الفلكيين أن الثقوب السوداء تبتلع ما يقترب منها على بعد ١٠٠ مليون ميل[١]

القضية الثانية: في معنى قوله تعالى: ﴿ أَوَلَمْ يَرَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ أَنَّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ كَانَتَا رَتْقًا فَفَتَقْنَٰهُمَا ﴾ [سورة الأنبياء: ٣٠]. فإن هذه الآية لا تتحدث عن نشوء كون محدود بنقاط سبع أو مجرات سبع أو أفلاك سبع مع الأرض كما يعرضه البرنامج؛ فمفهوم الكون عند الفلكيين حدوده في المجموعة الشمسية ومنطقة الانفجار والمناطق الفضائية السبعة التي يتكلم عنها البرنامج، ولكن الآية تتكلم عن نشوء كون أوسع بكثير، فالآية تخبرنا أن عوالم السماوات، كانت ملتصقة مع الأرض بكل أجزائهما، ثم حصل الفتق بينهما، هذا بالجملة، أما دلالة الآية على الرتق والفتق بالتفصيل فإنها تحتمل: أن كل الأرض كانت رتقًا لوحدها ثم فتقت لوحدها، وأن السماوات كانت رتقًا لوحدها ثم فتقت لوحدها، وتحتمل أن كل سماء لوحدها كانت رتقًا ثم فتقت، وأن الأرض لوحدها كانت رتقًا ثم فتقت وتحتمل الآية معاني أخرى للرتق والفتق مذكورة في التفاسير[٢]، وهذه الدلالات لها أبعاد علمية غير التي يحصرها من يريد الاحتجاج بالانفجار الكوني، وكما يقول ابن عاشور (١٣٩٣هـ) رحمه الله: «والظاهر أن الآية تشمل جميع ما يتحقق فيه معاني الرتق والفتق، إذ لا مانع من اعتبار معنى عام يجمعها جميعا، فتكون الآية قد اشتملت على عبرة تعم كل الناس وكل عبرة خاصة بأهل النظر والعلم فتكون من معجزات القرآن العلمية»[٣]، ذلك لأن الرؤية في الآية إما أن تكون

---

(١) ينظر موقع ناسا: تشاندرا يكتشف أن الثقب الأسود في مجرتنا يرعى عدداً هائلًا من المذنبات:
https://nasainarabic.net/chandra/articles/view/chandra-finds-milky-way-black-hole-may-be-grazin-on-asteroids

(٢) انظر: القرطبي ١١/ ٢٨٣، التحرير والتنوير ١٧/ ٥٣

(٣) التحرير والتنوير (١٧/ ٥٦)

بصرية وإما أن تكون علمية، والاحتمالات على هذا ستكون داخلة في إحدى الرؤيتين المطلوبتين في الآية، فقصر دلالة الرتق والفتق على مدلول واحد تحجير وتضييق في العلوم القرآنية وهذا مخالف لمعايير الاستنباط الكوني المذكورة في المبحث الأول.

القضية الثالثة: حول كون السماء مسطحة، فإن الحديث عن كون السماء مسطحة كما يذكر البرنامج هو خلط بالمفاهيم، فهم جعلوا مفهوم السماء في القرآن بمعنى الفضاء، ثم اعتبروا أن هذا المفهوم من المسلمات، ثم استندوا إلى وكالة ناسا في اعتبار السماء -أي الفضاء- مسطحة، ولا أدري كيف استقام لدى البرنامج أن يفسر السماء بالفضاء، ثم يحدد السماوات السبع بسبع نقاط فضائية، ثم يعتبر السماء مسطحة والأرض فيها كرة، فهل السماء عندهم يختلف منظورها باختلاف النظريات؟، أي: إذا كانت السماء مسطحة كما يقولون، فأين محلها، هل هي نفس النقاط الفضائية السبع أم فوق النقاط الفضائية السبع، وعلى كل حال فإن اعتبار الفضاء مسطحا ليس ثابتاً كما يدعي البرنامج، بل ما زال فرضية غير مؤكدة ولم ترتق إلى النظرية بعد، وما زال الجدل مستمراً عند الفيزيائين: هل الفضاء مفتوح أم مغلق أم مسطح أم ماذا؟!"[1]

والغريب استدلالهم بالقرآن على أن السماء مسطحة، فقالوا: « **ويخبرنا الله في القرآن الكريم أنه أكمل مناطق الفضاء إلى سبعة في شكل مستوي، في سورة البقرة في الآية ٢٩ يقول القرآن: ﴿هُوَ ٱلَّذِى خَلَقَ لَكُم مَّا فِى ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا ثُمَّ ٱسْتَوَىٰٓ إِلَى ٱلسَّمَآءِ فَسَوَّىٰهُنَّ سَبْعَ سَمَٰوَٰتٍ ۚ وَهُوَ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ﴾** [البقرة:٢٩]».

هكذا قالوا دون تعيين وشرح لمكان الشاهد ووجه الاستدلال، ولعلهم أرادوا

---

(١) انظر: *The Inflationary Universe* المصدر السابق، و: مفاهيم العلوم الفيزيائية، بول ج هويت، جون أ. سوشكوي، لسلي أ. هويت)، صـ٧٥٦، ٧٥٧.

الاستدلال بقوله تعالى: (فسواهن) على أن السماء مسطحة، فإن كان كذلك فهذه طامة كبرى، ومخالفة دلالية فاضحة، لأن (فسواهن) في اللغة وفي السياق تدل على الخلق والجعل، يقول ابن جرير: «وأما قوله»فسواهن» فإنه يعني: هيأهن وخلقهن ودبَّرهن وقوَّمهن، والتسوية في كلام العرب، التقويم والإصلاح والتوطئة، كما يقال: سوَّى فلان لفلان هذا الأمر، إذا قوّمه وأصلحه وَوَطَّأه له؛ فكذلك تسوية الله جل ثناؤه سمواته: تقويمه إياهن على مشيئته، وتدبيره لهنّ على إرادته، وتفتيقهنّ بعد ارتتاقهنّ»[1]، ويدخل في معنى التسوية أيضًا ما ورد في تفسير (فسواهن) أي: «تحرى السواء، أي: العدالة وذلك لما جعل فيها من التركيب المتعادل»[2].

فالتضعيف في (فسوّاهن) للجعل والتصيير، كهمزة التصيير، تقول: سوّاهن وأسواهن: أي جعلهن سوية، أي: جعلهن على صفة سوية معتدلة وفق التقدير الرباني، تَسْوِيَةُ الشيءِ جَعْلَه سَواء إمَّا فِي الرِّفْعَةِ أَو فِي الضِّعَةِ، ومن ذلك قوله تعالى: ﴿ٱلَّذِى خَلَقَ فَسَوَّىٰ﴾ [الأعلى:٢]، ﴿وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّىٰهَا﴾ [الشمس:٧]؛ فهي إذن لا تعني جعلها مسطحة، وإنما جعلها الله في أحسن تقويم بالوجه المقدر عنده سبحانه، وبهذا ندرك أن البرنامج لم يكن دقيقا في ربط معلوماته ولم يكن علميا في استدلالاته، ولم يعتمد على معلومات ذات دلائل وبراهين قوية، وإنما أغلبها فرضيات ما زالت محل نظر وتحتاج إلى براهين لترتقي بها إلى مصاف النظرية.

المبحث الثالث: أثر البرنامج على الاتجاه التفسيري والفكري

حتى ندرك حقيقة الأثر المستقبلي لهذا البرنامج لا بد أن ننظر إلى الوراء؛ لنستدعي عدة معامل ربط تاريخية وواقعية متداخلة ما زالت مستصحبة حتى

(١) تفسير الطبري ت شاكر (١/ ٤٣١)

(٢) تفسير الراغب الأصفهاني (٥٠٢هـ) ١/ ١٣٧.

تاريخنا اليوم، منها ما يرتبط بمساق تاريخي يتصل به البرنامج، ومنها ما يرتبط بمفاهيم أساسية قام عليها البرنامج لم يراع فيه مدلول القرآن، ومنها ما يرتبط بمنهجية البرنامج عموماً، ولعلي أطرح الآثار على شكل فقرات ليسهل عرضها مستعيناً بالله:

أولاً: تعزيز الجدلية التصادمية بين العلم والدين:

يقوم البرنامج على فكرة أساسية وهي: أن لا تعارض بين العلم والقرآن، وأن القرآن هو كتاب سماوي وعلمي، وهذا يستدعي الرجوع إلى خلفية فكرة التعارض بين القرآن والعلم.

لو نظرنا بدقة في تاريخ تطور العلوم في الإسلام؛ فإننا لا نجد معركة تصادمية بين العلم والدين، ذلك لأن مفهوم العلم لم يكن مقصوراً في نطاق التجربة والمحسوس، بل كان مفهومه شاملا لجوانب المعارف العقلية والتجريبية والغيبية المستندة إلى الوحي الرباني، فالعقيدة عند المسلمين علم، والفقه علم، والطب علم، والكيمياء علم، والاسطرلاب علم، ..الخ، والقرآن حفل بالآيات التي ختمها بـ (يعلمون، تعلمون، يتفكرون، والعلماء..الخ) وكانت تأتي في سياقات مختلفة منها ما يكون في سياق الوحي ومنها في سياق الكون[1]، وكان لهذا المفهوم الشامل أثرٌ في انفتاح المسلمين على العالم، إذ انكبوا على علومهم وترجموها وطوروها وأعادوا تأليفها ضمن الإطار المعرفي الصحيح المنسجم مع الثوابت العقدية، وكان من أثر الحياة العلمية في البلاد الإسلامية واحتكاك النصارى بالمسلمين؛ ظهور المدارس العلمية السرية في أوربة والتي كانت تعمل خفية خوفا من بطش الكنيسة وكهنوتها، وبقي الأمر كذلك حتى تغير مفهوم العلم في عالمنا الإسلامي وفي فكر المثقفين من بني جلدتنا.

---

(١) ينظر: مفهوم العلم في القرآن وأثره على النهضة الحضارية للأمة من صـ٢٢ حتى صـ٢٨، د. مرهف عبد الجبار سقا بحث محكم منشور في مجلة الطائف للعلوم الإنسانية العدد ١٨، جمادى الآخر ١٤٤٠.

ويعـود منشـأ تغير مفهـوم العلـم بداية مـن أوربة بعـد الثورة على الكنيسـة وسـلطتها الظالمة على فكر الناس ابتداء من نقولا كوبرنك (١٤٧٣- ١٥٤٣م)، فكانـت العاقبة أن المـدارس العلمية الأوربية رفضت كل مـا هو ديني، وحددت مفهـوم العلم في كل ما يخضع للتجربة والحس والتطبيق أو له تفسـير مادي، وما عدا ذلك فهو خرافة، ومع عودة البعثات التي كان ترسل إلى أوربة في عهد محمد علي باشـا منذ عـام ١٢٤١هـ/ ١٨٢٦م وفد على العالم الإسـلامي مفهوم العلم الجديد مصطحبـاً معه عداوته للدين، وبدأت فكرة التباين بين التفسـيرات الدينية والعلمية في إطار الانبهار الذي سـلب ألباب المثقفين من التطورات الحاصلة في أوربة[1].

لقد قام الاحتلال والاستشراق والبعثات الوافدة من أوربة بدور بارز في تغييب معنـى العلم في الإسـلام وزرع المفهوم الغربـي للعلم المقتصـر على ما يخضع للحواس والتفسير المادي. مما دفع علماء المسلمين إلى إظهار الأصول الكونية في القرآن الكريم ومحاولة إعادة الناس إلى المفهوم الشـامل للعلم في الإسـلام، فظهـرت كتابات التفسـير العلمي – بمفهـوم العلم الجديد – للقضايا التشـريعية وللآيات القرآنية، وللأسف غدت كل فرضية وافدة حَكَمَـاً على المفاهيم الدينية، وحصل الخلط واضطربت الحياة الثقافية العلمية في العالم الإسـلامي، ونشـأت مواقف رافضة وأخرى تقبل كل ما يأتي من الغرب، وثالثة متوسـطة بينهما، إلا أن الأمر القائم بينهم هو: التسـليم للتفوق الغربي، وسـيطرة عقدة النقص، وضعف المواجهة العلمية التجريبية؛ لضعف الأدوات المسـاعدة على ذلك، فلذلك نجد مـن يطوع المفاهيم القرآنية للمفاهيم المادية حسـب المفهوم الجديد للعلم كما فعل محمد عبده ورشيد رضا وطنطاوي جوهري، ثم صار كلما ظهرت فرضية أو

(١) ينظر: التفسير والإعجاز العلمي ضوابط وتطبيقات ١/ ٤٣ حتى ٤٧

نظرية ذهب بعض الحماسيون -وخاصة من غير المتخصصين بعلوم التفسير- للبحث عن كلمة في القرآن يتعلقون بأهدابها وربطها بالآيات القرآنية، واستمرت الجدلية العدائية بين العلم والدين عقودا، وما زلنا نعيش آثارها إلى الآن، ونرى من ينفخ في كيرها لتبقى مشتعلة.

ولكننا لا ننكر مع تقادم الزمن ازدياد الوعي الديني، وظهور هيئات وكتابات تنادي بضبط عملية التفسير العلمي والإعجاز العلمي وضبط الكتابات وربط العلوم المختلفة بالقرآن الكريم، ولكن مع تنامي التيارات الإلحادية والتشكيكية والقراءات المعاصرة التي تريد تطييع المفاهيم القرآنية للمفاهيم الغربية، ومع هجرة كثير من الشباب المسلم -لظروف سياسية أو اجتماعية أو دراسية- إلى أوربة والإقامة فيها؛ بقيت هذه الجدلية متعززة في الثقافة العامة، وبقيت الحاجة إلى ما يزيل حيرتهم والسبل التي تظهر لهم التوافق بين العلمي والديني، وبرنامج لا تصادم يأتي في هذا السياق، فهو يدغدغ عواطف المتحمسين لمثل هذا التوفيق، ويشعرهم بالطمأنينة من الخوف الذي في نفوسهم من هذا التعارض الموهوم في نفوسهم، وأما في عالمنا الإسلامي فإن هذه الجدلية ما تزال موجودة ويغذيها الليبراليون و(العصرانيون)، والمتسمون بالمتنورين.

نعم؛ لا يخفى على المتابعين تراجع مستوى هذه الجدلية العدائية بين العلم والدين خاصة مع ظهور مواقع التواصل الاجتماعي وتواصل المجتمعات مباشرة فيما بينها، وظهور عورات المفاهيم الغربية المتسترة بالعلم، إلا أن هذا البرنامج «لا تعارض» يعيدنا إلى المربع الأول الذي ظهرت فيه هذه الجدلية، بل ويعيدنا إلى نقطة البدء في ظهور انحراف التفسير في العصر الحديث إذ كان سببه نفس منهجية البرنامج في عدم الدقة في نقل المعلومات، وسوء استخدام العلوم المختلفة وتوظيفها في بيان دلالة القرآن، وتحكيم المفاهيم العلمية بالمفاهيم

القرآنية[1]، وقد رأينا كيف يقوم البرنامج بالتعدي على المفاهيم والدلالات القرآنية ويتعسفون في ربطها مع فرضيات ما زالت محل شك من أصحابها، بل وجدناهم يعرضون هذه الفرضيات على غير الشكل الذي قالها أصحابها لتتقارب مع ما يريدون تقريره من خلال ربطه مع القرآن، وهذا من أسوأ نتائج البرنامج، بل إن حلقة يوسف والدراهم التي حللناها في المبحث الثاني كانت قائمة على تسمية شعبية غير علمية، وهذا يؤدي ذلك مستقبلاً إلى: التشكيك بدلالات القرآن الكريم على العلوم لدى الجماهير المشاهدة، وارتفاع درجة الجدلية العدائية بين العلم والدين، واستمرار الفوضى الثقافية، خاصة مع غياب مؤسسات التعليم الشرعي عن التصدي لهذه الفوضى، وابتعاد نشاطها عن نشر مفاهيم الإسلام الصحيحة فيما يتعلق بهذا الاتجاه، وتجييش المعارضة لاتجاه الإعجاز القرآني في ذكر العلوم المختلفة وذلك إن لم نبين الحقائق العلمية كما هو هدف هذا البحث.

فالرفض المطلق والقبول المطلق للإعجاز العلمي ليس منهجا علمياً، وإنما المحاكمة وفق الأصول العلمية لكل تخصص علمي هو المنهج السليم الذي ينبغي على المؤسسات التعليمية تهيئة طلابها له، ووضع المعايير الحاكمة والناظمة ونشرها، وهذه الدراسة التحليلية لم تقم على أساس الرفض أو التأييد المطلق، وإنما لبيان الواقع العلمي لهذا البرنامج، وإعادة المسيرة العلمية إلى جادتها.

ثانياً: من آثار هذا البرنامج: تغييب دور السنة والمأثور في بيان القرآن الكريم: فمن خلال متابعتي لحلقات هذا البرنامج، لم أجده يستدل على تفسير آية من

(١) انظر: التفسير والإعجاز العلمي ضوابط وتطبيقات ١/ ١٥١ فما بعد في بيان بداية ظهور الانحراف في التفسير العلمي.

الآيـات بحديث نبـوي أو بأثر من آثـار الصحابة رضي الله عنهـم، وإنما يقفزون مباشـرة نحو المفهوم الذي يريدونه، وهذا يعني تغييب المصدر الثاني من مصادر فهم القرآن عن مجريات التفسير، فهل البرنامج يتبنى اتجاه التشكيك بالسنة؟.

بل إن البرنامج يفرض تحليلات حديثة على الدلالة القرآنية دون اعتبار للواقع العلمـي أو اللغوي أو التاريخي كما وجدناه في تحليل قصة يوسـف وموسـى مع شعيب، وكتفسيره لطور سينين بأثيوبيا.

ثالثـًا: يجعـل العلـوم الكونية حاكمة علـى المفاهيـم القرآنيـة، وأن العلوم التجريبيـة هـي المرجعيـة الأساسـية المعتبرة لفهم القـرآن، وذلك مـن جهتين: أحدهما حصـر الدلالة القرآنية بالمدلول الاصطلاحـي الخاص بعلم من العلوم ومثال ذلك: تفسير السماء بالفضاء، وتفسير سدرة المنتهى بالنجم الثاقب.

وثانيهـا: بتقديـم الشـرح الكوني للقضيـة المطروحة بما يأخذ أكثـر من ثلثي وقـت البرنامـج في كثير من حلقاته، ثم يكون إسـقاطها على الآيـة في ما تبقى من الوقت، وهذا الأسـلوب يجعل الأصل هـو المعلومة الكونية، كما أن المسـتمع يكون وقتها قد اسـتغرق تركيزه في القضية الكونية وانبهر بما يعرضونه من أسماء باحثين ومقالات وكتب، ومشدود بطريقة العرض، فإذا جاء وقت الربط مع الآية استسـلم لمرادهم، وبذلك ينحصر ذهنه في تفسير الآية بما يطرح أمامه، ويصعب قبـول أي احتمال لمعنـى آخر تقتضيه الآية، وبذلك يكون بناء عقل المسـتمع في فهـم الآيـة على الرأي الواحـد المحتمل – إن ثبت – وتغييـب باقي الآراء وربما الشـك بهـا أو ربما رفضها لأنها مخالفـة للعلم، وهذا يتنافى مع العمل التفسـيري فالدلالة القرآنية أوسع من احتمال معنى واحد وكأن الآية نزلت له فقط.

رابعـًا: اعتمـاده علـى المنطقية في الطرح وليـس على العلميـة، أي: محاولة ترتيـب المعلومـات وربطها بالآيـات بأسـلوب منطقي وليس بأسـلوب علمي،

وتصـور الموضوع المطروح بعقلانيـة مجردة ومحاولة علمنتهـا في هذا الإطار، وهذه طريقة في التحليل ينتهجها المستشرقون والغربيون عموما في تفسير الغامض ليكون أقرب للقبول العقلي، وهذه الطريقة لا تنسجم مع أصول الاستدلال.

إن هـذا الأسـلوب يوحي للمسـتمع أن التفسـير عمـل عقلي مجـرد، وهذا سيسـتدعي أن يكون نقاش الجمهور المستمع حول البرنامج وفق القناعة العقلية لـكل واحد، وليـس وفق الضوابـط العلمية الشـرعية والأهلية، وهـذا مظهر من مظاهر الفوضى العلمية والثقافية التي نعاني منها.

فالمتابع للبرنامج سـيجد أنه خالف معظم المعايير التي ذكرناها في المبحث الأول للتفسـير العلمي والاسـتنباط من القرآن الكريم، ذلك لأن البرنامج يعتمد أولا على المنطق العقلي المجرد في ربط المعلومات بالآيات، فضلا عن سطحية في فهم النص القرآني.

وإني أنتهزها مناسـبة لأنبه على أهمية مثل هذا المؤتمر المبارك «الدراسـات الحديثة في تفسـير النص القرآني، رؤية تقويمية» الذي ينظمه كرسـي الشـيخ علي بـن عبد الرحمن القرعـاوي في التصدي لهذه الفوضى، وتقويم المسـيرة العلمية لتفسـير القـرآن؛ من خلال نشـر أبحاث هـذا المؤتمر، وإتباعه بلقـاءات إعلامية تسلط الضوء على مضمونه وتوصياته وأبحاثه.

خامسًا: يؤسس أرضية ثقافية لنشر وقبول الفرضيات والنظريات الشاذة التي تتبناها مؤسسـات خاصة، كفرضية التطور، وفرضية أصل بني إسـرائيل في اليمن كمـا سـبق في المبحث الثاني، فربط الأيام السـتة بالتقويم الكوني لكارل سـاغان، سيفضي إلى قبول تفاصيل المراحل التي وضعها كارل في جداوله، لأن الجداول التي كتبها كارل سـاغان وتحاكم إليها البرنامج؛ تتضمن ترتيب الخلق وفق نظرية التطور الدارونية والانتقاء الطبيعي التي يعتقدها كارل سـاغان ويشـرحها في كتابه

«تنانين عدن»، وأهمها الفصل الرابع الذي تحدث فيه عن تطور الإنسان والانتقاء الطبيعي لاكتساب القدرة وتطور الذكاء[1].

ويمكن التوسع في ذكر الآثار من خلال تحليل باقي الحلقات، فأسأل الله تعالى السداد والتوفيق.

* * *

(١) انظر: تنينات عدن صـ٥٩

الخاتمة

النتائج والتوصيات

أولاً: أهم النتائج:

١. يعود برنامج «لا تعارض» إلى مؤسسة تحمل نفس الاسم، وما يزال الغموض يكتنفها من حيث المؤسسين والداعمين والأهداف.

٢. لم يوضح البرنامج منهجيته العلمية في عرض المفاهيم والنظريات المتبناة، ولم يوضح مدى الانسجام الفكري بينها.

٣. رسالة برنامج «لا تعارض» هو بيان أن القرآن الكريم كتاب دين وعلم، وهذا مقصد حَسنٌ ابتداءً.

٤. خالف البرنامج معايير التفسير الأساسية في استنباط العلوم من القرآن الكريم والدلالة عليها.

٥. اعتمد البرنامج من خلال الحلقات التي تم تحليلها على فرضيات لم تثبت، ومعلومات غير موضوعية، وأتى بتحليلات غريبة، وحكّم المصطلحات الكونية في المفاهيم القرآنية.

٦. يعزز البرنامج فكرة الجدل التصادمي بين العلم والدين من حيث يظن أنه يساهم في التوفيق بينهما، واعتبار العلوم الكونية أصلا في فهم القرآن والربط بينهما بالعقل المجرد.

٧. يؤسس البرنامج أرضية فكرية للنظريات المادية التي لم تثبت، بل منها ما يخالف القرآن تحت شعار عدم التعارض بين العلم والقرآن.

ثانيًا: أهم التوصيات:

١. أهمية نشر الوعي حول مفهوم العلم الشامل في القرآن الكريم والتصدي للجدلية التصادمية بسبب المفهوم المادي الجديد للعلم.
٢. تكثيف الدراسات العلمية التحليلية لمثل هذه البرامج ودراستها دراسة شاملة.
٣. نهيب بالمؤسسات الإعلامية في دول العالم الإسلامي عموما، وبالمؤسسات الإعلامية في المملكة العربية السعودية خصوصاً لمكانتها الريادية في العالم الإسلامي للاهتمام بمثل هذه المؤتمرات المباركة وتسليط الضوء عليها، وضرورة إعداد برنامج إعلامية تبين خطورة برنامج «لا تعارض» وترد عليه.
٤. اقتراح اعتماد مقرر دراسي جامعي حول ضوابط التفسير والإعجاز العلمي في القرآن الكريم في مرحلة البكالوريوس.

❊ ❊ ❊

المصادر والمراجع

١- الإتقان في علوم القرآن، عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي (٩١١هـ)، ط. دار الفكر بيرون د.ت.

٢- الإحسان في تقريب صحيح ابن حبان، محمد بن حبان البستي (٣٥٤هـ)، ترتيب علي ابن بلبان، تحقيق شعيب أرناؤوط، ط: مؤسسة الرسالة الأولى ١٩٨٨.

٣- إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم، محمد بن محمد أبو السعود العمادي (٩٨٢هـ) ط دار إحياء التراث د. ت.

٤- أضواء البيان محمد الأمين الشنقيطي (١٣٩٣هـ)، دار الفكر، ١٩٩٥م.

٥- أطلس القرآن الكريم، أماكن أقوام أعلام، د. شوقي أبو خليل ط: دار الفكر ٢٠٠٣.

٦- الإعجاز العلمي د. عبد الحفيظ حداد(١٤٣٨هـ)، مطبوع على الآلة الكاتبة، نسخة مستفادة من المؤلف رحمه الله.

٧- الإكسير في علم التفسير نجم الدين الطوفي (٧١٦هـ)، تحقيق: د. عبدالقادر حسين، ط: المطبعة النموذجية ١٩٧٧م.

٨- الإكليل من أخبار اليمن وأنساب حمير، الحسن بن أحمد الهمذاني (٣٣٤هـ)، تحقيق محمد على الأكوع، ط وزارة الثقافة والسياحة، صنعاء، ٢٠٠٤.

٩- أوضاع اللغة العربية في القرن الأفريقي تقاطعات الدين والهوية والإثنية، النور حمد، عبد الوهاب طيب البشير، المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات ط الأولى ٢٠٢٠.

١٠- إيضاح الوقف والابتداء في كتاب الله عزوجل، محمد بن القاسم بن الأنباري

(٣٢٨هـ)، ت: محيي الدين عبد الرحمن رمضان، ط مجمع اللغة العربية دمشق ١٩٧١م.

١١- البحر المحيط محمد بن عبد الله الزركشي (٧٩٤هـ) تحقيق عبد القادر العاني ط الثانية وزارة الأوقاف الكويت ١٤١٣.

١٢-البداية والنهاية، محمد بن إسماعيل ابن كثير (٧٧٤هـ)، ت: علي شيري، ط: دار إحياء التراث العربي، أولى ١٩٨٨

١٣- البرهان في علوم القرآن محمد بن عبد الله الزركشي (٧٩٤هـ) ت: يوسف المرعشلي، ط: دار المعرفة الأولى ١٩٩٠.

١٤-البلدان أحمد بن إسحاق اليعقوبي (٢٩٢هـ)، ط: دار الكتب العلمية، أولى ١٤٢٢هـ.

١٥-تاريخ النقود الإسلامية، موسى المازندراني، ط: دار العلوم بيروت، الثالثة ١٩٨٨.

١٦-التحرير والتنوير محمد بن الطاهر عاشور (١٣٩٣هـ)، ط الدار التونسية للنشر ١٩٨٤م.

١٧-تفسير الراغب الحسين بن محمد الأصفهاني (٥٠٢هـ)، تحقيق د محمد عبد العزيز بسيوني، ط كلية الآداب جامعة طنطا، أولى ١٩٩٩م.

١٨-التفسير الكبير المسمى بـ تفسير مفاتيح الغيب، محمد بن عمر الرازي (٦٠٦هـ)، ط: دار الكتب العلمية، الأولى: ٢٠٠٠.

١٩-التفسير والإعجاز العلمي للقرآن ضوابط وتطبيقاته في سورة النحل، د. مرهف عبد الجبار سقا، ط دار محمد الأمين دمشق، الأولى ٢٠١٠.

٢٠-تنينات عدن، تأملات عن تطور ذكاء الإنسان، كارل ساغان، ترجمة سمير حنا طارق، ط: المجلس الأعلى لثقافة، مصر، الأولى ٢٠٠٥.

٢١-جاءت التوراة من جزيرة العرب، د. كمال الصليبي ترجمة: عفيف الرزاز، ط مؤسسة الأبحاث العربية، بيروت، السادسة ١٩٩٧م.
٢٢-جامع البيان في تفسير القرآن، محمد بن جرير الطبري (٣١٠هـ)، ت: أحمد شاكر، ط الرسالة، الأولى ١٤٢٠.
٢٣-الجامع لأحكام القرآن، محمد بن أحمد القرطبي (٦٧١هـ) تحقيق أحمد البردوني، ط دار الكتب المصرية الثانية، ١٩٦٤.
٢٤-جغرافية التوراة وحاخاماتها العرب في نقد نظرية كمال الصليبي وروادها الآخرين من الباحثين العرب، تأليف: فكري آل هير، دراسة تحليلية نقدية تطبيقية» ط، صنعاء ٢٠١٨م.
٢٥-الجواهر الحسان في تفسير القرآن، عبد الرحمن بن محمد الثعالبي (٨٧٥هـ)، ت محمد معوض وشركاه، دار إحياء التراث أولى ١٤١٨هـ.
٢٦-الخصائص، عثمان بن جني (٣٩٢هـ)، ت: محمد علي النجار ط دار الكتاب العربي. د. ت.
٢٧-دلالة السياق إعداد: ردة الله بن ردة الله بن ضيف الله الطلحي، رسالة دكتوراه مطبوعة في جامعة أم القرى مكة الأولى ١٤٢٣.
٢٨-ديوان المبتدأ والخبر في تاريخ العرب والبربر ومن عاصرهم من ذوي الشأن الأكبر، عبد الرحمن بن محمد بن خلدون (٨٠٨هـ) ت خليل شحادة دار الفكر الثانية ١٤٠٨.
٢٩-ديوان ذي الرمة برواية ثعلب شرح الباهلي، أحمد بن حاتم الباهلي (٢٣١هـ)، عبد القدوس أبو صالح، ط مؤسسة الإيمان جدة، الأولى ١٩٨٢.
٣٠-الروض الأنف في شرح السيرة النبوية، عبد الرحمن بن عبد الله السهيلي (٥٨١ه)، ت: عمر عبد السلام السلامي، ط دار إحياء التراث، الأولى ١٤٢١.

٣١-روضة الناظر وجنة المناظر، عبد الله بن أحمد بن قدامة المقدسي (٦٢٠هـ) تحقيق عبد العزيز السعيد ط جامعة محمد بن سعود الرياض الثانية ١٣٩٩هـ.
٣٢-زاد المسير في علم التفسير، عبد الرحمن بن علي ابن الجوزي (٥٩٧هـ) دار الكتاب العربي ت عبد الرزاق المهدي أولى ١٤٢٢.
٣٣-سبائك العرب في معرفة قبائل العرب، محمد أمين البغدادي المعروف بالسويدي (١٢٤٦هـ) ط. دار الكتب العلمية، د. ت.
٣٤-صحيح البخاري، محمد بن إسماعيل، تحقيق د. مصطفى البغا، ط دار ابن كثير، الثالثة ١٩٨٧م.
٣٥-صفة جزيرة العرب، الحسن بن أحمد الهمذاني (٣٣٤هـ)، تحقيق محمد بن علي الأكوع الحوالي، ط مكتبة الإرشاد، صنعاء، ط: الأولى ١٩٩٠.
٣٦-علوم القرآن الكريم، د. نور الدين عتر، ط دار الخير دمشق، أولى: ١٤١٤.
٣٧-الفائق في غريب الحديث محمود بن عمر الزمخشري (٥٣٨ه)، ت: علي البجاوي ط: دار المعرفة لبنان د. ت.
٣٨-فتح الباري بشرح صحيح البخاري أحمد بن علي بن حجر العسقلاني (٨٥٢هـ)، ت محب الدين الخطيب، وترقيم محمد فؤاد عبد الباقي، ط دار المعرفة بيروت ١٣٧٩
٣٩-قواعد التدبر الأمثل لكتاب الله، عبد الرحمن بن حسن حبنكة (١٤٢٥هـ)، ط دار القلم دشق، الثالثة ٢٠٠٤.
٤٠-الكشف والبيان عن تفسير القرآن، أحمد بن محمد الثعلبي، (٤٢٧هـ) تحقيق أبو محمد بن عاشور،ط دار إحياء التراث لبنان ٢٠٠٢م
٤١-اللباب من علوم الكتاب لابن عادل عمر بن حفص (بعد ٧٥٠هـ) تحقيق عادل عبد الموجود وآخرون، ط دار الكتب العلمية أولى ١٩٩٨.

٤٢-لمحات في علوم القرآن واتجاهات التفسير، د. محمد بن لطفي الصباغ، ط المكتب الإسلامي الثالثة ١٤١٠.
٤٣-محاسن التأويل جمال الدين القاسمي (١٣٣٢هـ) ط دار الكتب العلمية ١٤١٨
٤٤-المحصول، محمد بن عمر الرازي (٦٠٦هـ)، ت: طه جابر العلواني ط مؤسسة الرسالة، الثالثة ١٤١٨.
٤٥-المستصفى من عل الأصول محمد بن محمد للغزالي (٥٠٥ه)، ط البولاقية أولى ١٣٢٤هـ
٤٦-مسند أحمد بن حنبل (٢٤١هـ) تحقيق شعيب أرناؤوط، إشراف عبد الله التركي، مؤسسة الرسالة، الأولى ٢٠٠١م.
٤٧-معجم البلدان، ياقوت بن عبد الله الحموي (٦٢٦هـ)، ط دار صادربيروت، الثانية ١٩٩٥
٤٨-معجم مقاييس اللغة، أحمد بن فارس (٣٩٥هـ)، ت عبد السلام هارون، دار الفكر ١٩٧٩.
٤٩-مفاهيم العلوم الفيزيائية، بول ج هويت، جون أ. سوشكوي، لسلي أ. هويت، ط مكتبة العبيكان ١٤٣٥هـ.
٥٠-المفردات في غريب القرآن، الحسين بن محمد الأصفهاني (٥٠٢هـ)، تحقيق د. صفوان داودي ط دار القلم دمشق، الأولى ١٤١٢هـ.
٥١-مقدمة التفسير الحسين بن محمد الأصبهاني (٥٠٢هـ) ط الجمالية مصر ١٣٢٩هـ
٥٢-مقدمة في أصول التفسير أحمد بن عبد الحليم ابن تيمية (٧٢٨هـ)، تحقيق عدنان زرزور، ط الرسالة، الثانية: ١٩٧٢.

٥٣-المنجد في اللغة والأعلام، ط دار المشرق بيروت، ط ٣٣، ١٩٩٢م.
٥٤-موسوعة مصر القديمة، عصر الهيكسوس وتأسيس الإمبراطورية، سليم حسن ط هيئة الكتاب والمجموعة المصرية الثقافية، ٢٠٠١م.
٥٥-هدي القرآن الكريم إلى معرفة العوالم والتفكر بالأكوان، عبد الله سراج الدين، مكتبة الفلاح حلب، أولى ١٩٩١م.
٥٦-اليهودية وأسرار شعب إسرائيل د. كمال الصليبي ط دار السابق بيروت، السابعة ٢٠١٢م.

الأبحاث المحكمة والمقالات العلمية:

٥٧-*Cosmic Inflation: How It Gave the Universe the Ultimate Kickstart* (*Infographic*) منشور على الرابط:
https://www.space.com/25075-cosmic-inflation-universe-expansion-big-bang-infographic.html

٥٨-*The Inflationary Universe*، على الرابط:
http://depa.fquim.unam.mx/amyd/archivero/orele_20637.pdf

٥٩-حديث التربة بين القبول والرد دراسة حديثية، د. أحمد الجداوي، منشور في مجلة حولية كلية الدراسات الإسلامية والعربية للبنات بالإسكندرية لعام ٢٠١٨.

٦٠- كيف تكتب بحثًا في الإعجاز العلمي، د. عبد الحفيظ حداد، مجلة الإعجاز العلمي، العدد ١٧.

٦١- مفهوم العلم في القرآن وأثره على النهضة الحضارية للأمة، د. مرهف عد الجبار سقا، منشور في مجلة العلوم الإنسانية بالطائف، العدد ١٨ لعام ١٤٤٠.

أهم المواقع الإلكترونية:

١-موقع المذيعة البريطانية: https://www.clareforestier.com

٢-موقع ملتقى أهل التفسير: https://vb.tafsir.net

٣-موقع الدفاع عن الإسلام على الفيس بوك:
https://www.facebook.com/222867924393927/posts/d41d8cd9/3281166611897361

٤-موقع imdb.com: https://www.imdb.com

٥-موقع: ويكيبديا: https://en.wikipedia.org

٦-برنامج لا تعارض على الفيسبوك:
https://www.facebook.com/ThereIsNoClash/

٧-موقع لا تعارض على اليتيوب:
https://www.youtube.com/channel/UCn5fWwAp5IomJb4Gv1frEjA

٨-موقع لا تعارض على باتريون:
https://www.patreon.com/ThereIsNoClash

٩-موقع مصراوي: https://www.masress.com

١٠-موقع عمرو خالد على اليتيوب:
https://www.youtube.com/playlist?list=PLhbs8A5De9zSTPO0xHJQeDYfBuwYv_sOR

١١-موقع الإمارات اليوم: https://www.emaratalyoum.com

١٢-موقع: www.youtube.com

١٣-موقع ناسا بالعربي: https://nasainarabic.net/main